obeikandl.com

تحياتي من أديس أبابا

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية
دار دلتا للنشر

رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوي

الناشر

سليمان القلشي

مستشار النشر

أحمد سويلم

مدير النشر

محمد هشام عبيه

الطبعة الأول
الكتاب: تحياتي من أديس أبابا
المؤلف: ميشيل حنا
تصنيف الكتاب: رحلات
تصميم الغلاف: أحمد عاطف مجاهد
تنفيذ داخلي : محمود رمضان
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٥٢٠٣
الترقيم الدولي: ١ - ٢٥- ٦٦٠٥-٩٧٧-٩٧٨

العنوان : ١شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي
التليفون : 02/37483557
email : delta4books@gmail.com

obeikandl.com

ميشيل حنا

تحياتي من أديس أبابا

دلتا للنشر و التوزيع

obeikandl.com

جميع صور الكتاب من تصوير المؤلف،
عدا صور الفصل السادس، وبالطبع عدا
الخرائط والصور التاريخية!

obeikandl.com

(1)

ستسألني وما الذي ذهب بك إلى إثيوبيا.

سأقول لك أنني ذهبت متطوعا - باعتباري صيدلانيا - مع هيئة طبيّة خيريّة تقوم بتقديم خدمات علاجيّة مجانيّة لغير القادرين في الدول النامية.

حسنا. هذا هو السبب الذي ألقى بي في غياهب الأحراش الأفريقية لعشرة أيام شاهدت فيها من الغرائب ما يستحق حقا أن يسجّل في هذا الكتاب!

قيل فيما مضى أن في السفر سبع فوائد، لكني أستطيع أن أؤكد أن فوائد السفر أكثر بكثير من مجرد سبع. إن مجرد الخروج من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) به بضع فوائد لا بأس بها، أيا كان موضع النقطة (ب)!

كانت تجربة السفر مقلقة بالنسبة لي، فهذه أول مرة أسافر وحدي، وقد كانت آخر مرة ركبت فيها طائرة منذ أكثر من عشرين عاما! كنت مجرد طفل صغير يمسك يد والده ويمضي

obeikandl.com

معه دون أن يشغل باله بشيء. اليوم يجب أن أشغل بالي بكل شيء!

في البداية كان يجب أن أحصل على التطعيمات اللازمة للمسافر إلى إثيوبيا. كان هناك قلق أيضا من مسألة الملاريا، والمعلومات متضاربة على الإنترنت بخصوص هل يجب أن أتعاطى علاجا واقيا منها طوال إقامتي هناك أم لا. لم أكن أريد أن آخذ العلاج الواقي من الملاريا لأن كل الأنواع لا تخلو من الآثار الجانبية، وأقلها إصابة العينين بحساسية ضد الضوء بحيث أنك لا تستطيع أن تفتح عينيك في الجو المشمس. لكني استبعدت الملاريا في النهاية اعتمادا على معلومتين: الأولى أن أديس أبابا مرتفعة جدا عن سطح البحر وبالتالي فهي خارج نطاق الوباء، والمعلومة الثانية هي أن الفترة التي سافرت فيها كانت خارج موسم الملاريا في هذه المنطقة.

الممر ذو الأرضية المتحركة كأفلام الخيال العلمي

وهكذا ذهبت إلى الوحدة الصحية للحصول على الكارت الأصفر (الذي من المفروض أن أبرزه عند عودتي إلى البلاد في المطار وإلا طبقوا عليّ إجراءات الحجر الصحي إلى أن يثبت خلوّي من

الأمراض، لكن هذا لم يحدث ولم يسألني عنه أحد!)، وقامت ممرضة عصبيّة ترتدي نظارة سميكة جدا بغرس ثلاثة مسامير في ذراعي - من المفترض أنها محاقن- واحد للحمى الشوكية، والثاني للحمى الصفراء، والثالث للكوليرا.

خريطة أثيوبيا

بعد بضعة أيام من التطعيم سأكون محصّنا من هذه الأمراض الثلاثة، فلا يجب عليّ أن أقلق بخصوصها، لكن هذا لم يمنعني من أعود من هناك بالتهاب كبد وبائي كاد أن يقضي عليّ!

ثم كان عليّ أن أبتاع حقيبة سفر جديدة لزوم الوجاهة، ثم أعدّ قوائم -بحسّي الوسواسي المعتاد -بالأشياء التي يمكن أن أحتاج إليها في السفر لأجهزها. أعتقد أنني لم أنس شيئا، حتى الرواية الاحتياطية التي يمكن أن تسليني تحسّبا لاحتمالية وجود أوقات من الملل! حجز تذكرة الطائرة. تشغيل خدمة التجوال وشحن الهاتف بالكهرباء والمال. الاتفاق مع صديق يوصلني للمطار وصديق آخر يأخذني في اليوم الموعود. الاتصال بالبنك لتشغيل كارت الفيزا في إثيوبيا في فترة السفر. إجراءات الحصول على الفيزا من السفارة. التأكد من وجود ختم معفى من التجنيد على الباسبور. تفاصيل

تفاصيل تفاصيل تكاد أن تصيب المرء بالجنون في النهاية. صار السفر في أيامنا شيئا معقدا جدا. تذكرت ما كتبه سلامة موسى في كتاب السيرة الذاتية الخاص به (تربية سلامة موسى) من أنه حين قرر السفر إلى باريس عام ١٩٠٨ دفع ثمن تذكرة ركوب السفينة وأخذ بعض الملابس ومضى! هكذا ببساطة! لا توجد إجراءات سفر أو تصريحات أو فيزات ولا أي شيء من هذا القبيل! بعدها سافر إلى لندن ومنها إلى المغرب بنفس الطريقة. مجرد أن تدفع ثمن التذكرة وتمضي! كان السفر إلى باريس أو لندن لا يفرق أبدا عن السفر إلى طنطا أو أسيوط!

في مطار القاهرة رأيت (الإنجازات) التي صدّعنا بها أحمد شفيق[1] وكأنه نفذها من ماله الخاص وليس من اعتمادات الدولة! كل شيء فخم ولامع مع لافتات إرشادية سهلة، وسيور متحركة تقف عليها لتسير بك في الممرات الطويلة دون أن تُتعب نفسك بالمشي، تماما كأفلام الخيال العلمي!

علم أثيوبيا

أعطيتُ أوراقي لضابط الجوازات. ظللت أنتظر أن يتفحص وجهي ثم يقارن بينه وبين صورة أسفل المكتب ثم يقول لي اتفضل معانا من غير شوشرة! لعله سيجد اسمي ضمن الممنوعين من السفر لتشابهه مع اسم أحد المجرمين أو شيء من هذا القبيل. يبدو أن الأفلام العربية أفسدت تفكيري! لكن الرجل ختم الأوراق وأعطاني إياها

١ كان هذا فى الفترة التى تولى فيها الفريق أحمد شفيق رئاسة الوزارة، والتى قضاها بالبلوفر فى لقاءات تليفزيونية لا تنتهى متحدثا عن إنجازاته فى مطار القاهرة والتى تؤهله -من وجهة نظره -لقيادة مصر، هذا قبل أن يذهب فى رحلة عمرة طويلة جدا إلى الإمارات لم يعد منها حتى الآن!

دون كلمة. لحسن الحظ لم يكن هناك مجرمون كثيرون يحملون اسم ميشيل!

بعد فترة الانتظار الطويل، ثم تفتيش أمتعة الركاب التي ستصعد معهم إلى الطائرة، واستبعاد كل ما هو حاد أو موضوع في زجاجة أو به سائل، تكوَّنَت في سلة كبيرة ثروة صغيرة من العطور وماكينات الحلاقة والمقصات وزجاجات العصير والمياه ومختلف الأدوات المعدنية! ظللت أفكر في مصيرها وإلى من ستؤول في نهاية اليوم!

عندما ركبت الطائرة أخيرا بدت لي صغيرة جدا. مجرد أنبوب رفيع وضيق جدا تتحرك داخله بصعوبة. عندما كنت صغيرا كانت تبدو لي الطائرة من الداخل هائلة الحجم. كنت أجلس ولا أرى سوى ظهر المقعد العالي أمامي يسد الرؤية. اليوم ظهرت لي الطائرة على حقيقتها!

كنت قد حرصت على أن أحجز لنفسي مقعدا بجوار النافذة لأستطيع أن أراقب الأرض طوال الطريق، لكن لأن السفر كان ليلا فلم أر شيئا. يبدو أن أسعار حجز مسارات الطرق الجوية يكون أرخص في المواعيد الليلية لهذا تكون معظم مواعيد السفر على طائرات مصر للطيران بعد منتصف الليل!

استغرق الطيران حوالي ٣ ساعات و٤٥ دقيقة لأجد نفسي بعدها غريبا في أرض غريبة.

obeikandl.com

(2)

فرق شاسع بين مطار أديس أبابا (يعرف بمطار بولي الدولي Bole International airport) ومطار القاهرة. فرق السما من العمى. تشعر كأنك انتقلت فورا إلى الثمانينات، وبدون آلة زمن! فيما بعد قيل لي أن هذا المطار ليس إلا مطار الكويت القديم وقد تم تفكيكه وإهداؤه لإثيوبيا! إلا أنني لست متأكدا من مدى صحة هذه المقولة.

مطار أديس أبابا

مع هذا فهو المطار رقم ٩ في قائمة أكثر المطارات ازدحاما في أفريقيا (مطار القاهرة هو رقم ٢ بينما يحتل مطار جوهانسبرج الرقم ١)، حيث يستقبل أكثر من ١٥٠ رحلة يوميا، كما أنه ثالث أكبر مطارات أفريقيا من حيث المساحة.

obeikandi.com

الإجـراءات هنـا بدائيـة بشـكل كبـير، لدرجـة أن المطـار يفـرض عـلى المسـافر أن يخلـع حـذاءه وحزامـه ويتخلـص مـن أي شيء معـدني أثنـاء التفتيـش (تمامـا مثـل إعـلان سـفن أب!)، ولا يتـم هـذا مـرة وإنـما مرتـين! لحسـن الحـظ أن هـذا يحـدث مـع المغـادر وليـس القـادم، لكنـي سـأمر بهـذه المراحـل عنـد مغـادرتي البـلاد[٢].

أعطيـت أوراقـي لموظفـة الجـوازات، والتـي قالـت لي فيـما يبـدو أنهـا الجملـة الإنجليزيـة الوحيـدة التـي تحفظهـا: **Look Camera!** بينـما تشـير إلى كامـيرا رقميـة صغـيرة أعـلى الزجـاج. نظـرت إلى الكامـيرا التـي التقطـت صـورة لوجهـي عـلى مـا يبـدو.

ظلَّـتْ لفـترة طويلـة جـدا تفعـل أشـياء لا أراهـا أسـفل الكاونـتر، حتـى تخيلـت أنهـا تطلـب لي الإنترنـبول! لكنهـا أخـيرا أعـادت لي الأوراق دون كلمـة أخـرى، فقـد كان رصيدهـا مـن اللغـة الإنجليزيـة قـد انتهـى.

في صالـة السـفر انكـبّ عـليّ سـائقو التاكـسي يعرضـون خدماتهـم كالعـادة، وهـي الظاهـرة التـي رأيتهـا عندمـا عـدت إلى القاهـرة أيضـا مـع فـرق أنهـم في القاهـرة أكثـر إلحاحـا ولزوجـة. ظللـت أتلفـت بحثـا عـن ماجـد لكنـي لم أسـتطع رؤيتـه.

ماجـد هـو زميـلي في هـذه الرحلـة والـذي سـبقني إلى هنـا ببضعـة أيـام، وقـد وعـدني أن يـأتي لاسـتقبالي. نظـرت في السـاعة فوجـدت أننـي قـد وصلـت مبكـرا فأخـذت أتسـكع، وقـد فاتنـي أن أدرك أن هنـاك فـرق سـاعة في التوقيـت بـين القاهـرة وأديـس أبابـا، أمـا ماجـد فظـل واقفـا لأكثـر مـن نصـف سـاعة وهـو يشـير إليّ مـن خلـف زجـاج المبنـى بينـما أنـا في حالـة مـن التوهـان والدهولـة فلـم أنتبـه لـه مطلقـا.

٢ لم تكن هذه الإجراءات المشددة مطبقة فى مطار القاهرة فى ذلك الوقت، لكنها صارت قريبة من هذا الآن، بل وفى معظم مطارات العالم أيضا.

أما لماذا كان يشير إليّ من خلف الزجاج بالخارج، فلأن المطار يمنع المستقبلين من دخوله، فلكي تدخل المطار وأنت غير مسافر عليك استخراج تصريح أمني لا يستخرَج بسهولة!

أخيرا خرجت من المطار بصحبة ماجد وسائق التاكسي الذي أحضره معه، وبعد أن وضعنا الحقائب في التاكسي وانطلقنا في الطريق، تذكرت أنني نسيت حقيبة الظهر في المطار!

عدنا مرة أخرى إلى المطار وأخذت أهرول بالداخل محاولا الوصول إلى جهاز الكشف عن المعادن الذي نسيت الحقيبة بجواره، واكتشفت لحظتها أن كل صالات وأبواب المطار متشابهة وظللت أدور حول نفسي بالداخل كأنني في متاهة المينوتور. كيف أسأل عن مكان الماكينة التي تضع فيها الحقائب لتكشف عليها بالأشعة قبل الدخول؟ ما اسم هذه الماكينة بالإنجليزية؟ وحتى لو كنت أعرف لها اسما فهل سيفهمه العاملون في المطار بإنجليزيتهم الكسيحة؟

ظللت أعيد الأحداث في رأسي بشكل عكسي حتى وصلت إلى الماكينة المقصودة أخيرا، ولدهشتي كانت الحقيبة لا تزال على الأرض جوارها، التقطتها ومضيت!

كانت الساعة نحو الخامسة صباحا حين وصلت إلى سرير أخيرا. ارتميت عليه وظللت أحدق في السقف لبقية الليل لأنني غير معتاد على النوم في مكان غريب، ولم تكد عيناي تغفلان في الثامنة صباحا تقريبا حتى وجدت ماجد يوقظني: قوم.. قوم.. ورانا مشاوير كثير!

أخـذت أرتـدي ملابـسي عـلى عجـل وأنـا أفكـر في أننـي لم أتنـاول عشـاءً بالأمـس ولا إفطـارا في الصبـاح، لكـن كلهـا بضـع دقائـق وكنـت في الشـارع!

obeikandl.com

(3)

أول ملاحظة ستلاحظها في إثيوبيا هي أن البلد أخضر تماما.. أخضر بشكل مبهج.. أخضر بشكل مثير للحسد!

التربة هنا بركانية حمراء شديدة الخصوبة والأمطار وفيرة والأشجار الباسقة تنمو في كل مكان. لديهم أنواع عديدة من الأشجار رائعة الجمال لم أرها من قبل. أشجار تتفرع إلى أعلى بطريقة الصبار، وأشجار تتدلى منها ما يشبه خيوط محملة بورد أحمر، وأخرى ضخمة ترتفع بشكل شاهق، ولا أعرف لأيها اسما!

الأخضر في كل مكان

هناك حركة بناء نشطة في المدينة، مبانٍ حديثة من النوع الذي لا يعجبني، مبانٍ واجهاتها مغطاة بالألوميتال وتم تلوينها - على عادة الأفارقة - بألوان فاقعة كالأحمر والأصفر والبرتقالي! النوع

obeikandl.com

الآخر من المباني الذي يمكن أن تراه هو المباني التي تنتمي إلى طرز أوروبية مختلفة والتي تتواجد في الأجزاء الأقدم من المدينة، معظمها على الطراز الكولونياني.

المباني الحديثة تغزو العاصمة (١)

الملاحظة الثانية التي انتبهت لها من اليوم الأول هي الانتشار الهائل لصور رجل أصلع في لافتات وبوسترات بطول المدينة وعرضها، أينما ذهبت تطالعك صور هذا الرجل في كل الأوضاع والأزياء وبكل الأحجام. عرفت فيما بعد أنه زيناوي الذي سأعود إليه لاحقا.

كان مطلوبا منا أن نذهب إلى وزارة الصحة الإثيوبية لاستخراج تصاريح عمل للأطباء الذين سيعملون في هذه البعثة الطبية، وكان ماجد قد أتى عدة مرات في الأيام الماضية لاستخراج التصاريح، لكن في كل مرة تكون هناك ورقة ناقصة أو ختم ناقص! بيروقراطية كالبيروقراطية المصرية تماما وربما أعتى!

المباني الحديثة تغزو العاصمة (٢)

في مكتب وزارة الصحة كانت صور زيناوي تملأ كل مكان: حوائط المكتب والممرات والمداخل وكل الغرف تقريبا! ومرة أخرى كانت هناك مشكلة مع الموظف الأثيوبي؛ كان من المفروض أن يكمل إجراءات ما في الأوراق لكنه لم يفعل، وقال لنا بالحرف: **You can pass tomorrow**، أي فوت علينا بكرة، لكنه لم يضف إليها «يا سيد»، لهذا فإن «سيِّد» هو الفرق الوحيد بين البيروقراطية المصرية والإثيوبية!

كاتدرائية مخلص العالم

كنا في انتظار وصول أطباء وصيادلة من أمريكا وكندا للمشاركة في البعثة وكان يجب أن تُستخرَج التصاريح قبل أن يصلوا، لكنهم أتوا وعملوا ورحلوا ولم تكن التصاريح قد استخرجت بعد!

لم ننجز شيئا في وزارة الصحة، فاتجهنا إلى ميدان مداهني آلام، أشهر ميادين أديس أبابا والقريب من المطار لشراء بعض الاحتياجات.

مداهني آلام، تعني باللغة الأمهرية مُخلّص العالم، وقد أخذ الميدان اسمه من اسم كاتدرائية ضخمة تحتل مساحة هائلة، وتعتبر ثاني أكبر كنائس أفريقيا. وهي كاتدرائية حديثة انتهى بناؤها عام ٢٠٠٥.

حركة البناء ما زالت مستمرة في كل مكان بالميدان ويبدو أنه

احتل مكانته هذه حديثا. تقع الكثير من الفنادق في الميدان وفي الشوارع المتفرعة منه، إضافة إلى أشهر مول تجاري في العاصمة ويسمى «إدنا مول»، هذا هو المكان المعادل لسيتي ستارز لدينا، لكن إذا وضعت إدنا مول بجوار سيتي ستارز فكأنك تضع سيارة ١٢٨ بجوار جاجوار!

لديهم أيضا سلسلة مقاهٍ على غرار مقاهي ستار باكس تسمى كالديز **Kaldis**، وهي مقاهٍ تقلد ستار باكس في كل شيء من التصميم وزي العاملين وحتى على مستوى اللوجو الأخضر المستدير. تقول الأسطورة الحبشية أن كالدي **Kaldi** هذا كان راعي غنم أثيوبي وهو الذي اكتشف القهوة، فقد لاحظ كالدي أن الماعز تصبح أكثر نشاطا عندما تأكل ثمرات نبتة معينة، وقد أخذ كالدي يمضغ ثمرات القهوة بنفسه، ثم أخذها إلى رجل دين بقرب أحد الأديرة، فنهره رجل الدين وأخبره ألا يعود إلى مضغ هذه الثمرات مرة أخرى وأخذها وألقى بها في النار، وعلى الفور تصاعدت رائحة طيبة هي رائحة القهوة. أخذ كالدي الثمار المحمصة وأذابها في الماء لتصبح هذه أول قهوة في التاريخ.

مقهى في الشرقة

فيما بعد عرفت أن هناك عدة سلاسل من المقاهي تستخدم نفس الاسم في مختلف بلدان العالم لكن دون أن تكون هناك علاقة

بينهـا وبـين بعـض.

عندمـا تجلـس في كالديـز أو أي مقهـى آخـر، تجـد أن أشـهر قهـوة يتـم تقديمهـا لديهـم هـي الماكياتـو، وهـي نـوع مـن الاسبريسـو يضـاف إليـه بعـض اللبـن. مـن الأشـياء اللطيفـة أن الكثـير مـن المقاهـي تقـع في الـدور الثالـث أو الرابـع مـن العـمارات! حيـث تكـون هنـاك شرفـة كبـيرة تطـل عـلى الشـارع تـرصّ فيهـا الطـاولات والكـراسي ويتفـرج فيهـا رواد المقهـى عـلى الشـارع مـن أعـلى بينـما يحتسـون القهـوة!

بعـد أن انتهينـا مـن المشـاوير اكتشـفت أنني لم آكل شـيئا منـذ أكثـر مـن عشريـن سـاعة، وأن آخـر وجبـة أكلتهـا كانـت الوجبـة التـي قدِّمـت لنـا في الطائـرة بُعَيْـدَ الإقـلاع مـن القاهـرة! وحينـما وجـدت فرصـة لـلأكل أخـيرا كنـت جائعـا لدرجـة أنني فهمـت شـعور شـارلي شـابلن عندمـا سـلق حـذاءه!

obeikandl.com

(4)

عام ١٨٨٧ وقفت الإمبراطورة تايتو في شرفة القصر الإمبراطوري على الجبل ونظرت إلى المساحة الممتدة أمامها وفكرت: لم لا نبني مدينة جديدة هنا، وليكن اسمها أديس أبابا؟

أديس باللغة الأمهرية تعني جديد، بينما أبابا (وتنطق أبيبا) تعني زهرة، وعلى هذا فأديس أبابا هي الزهرة الجديدة.

أوتوبيسين في واحد!

استجاب الإمبراطور مينيليك الثاني لرغبة زوجته، وهكذا تم تأسيس عاصمة إثيوبيا الجديدة والتي حلت محل العاصمة القديمة إينتوتو.

تقع أديس أبابا على ارتفاع أكثر من ٢٣٠٠ متر فوق سطح البحر، وهذا هو سر جوها الرائع المعتدل طوال العام.

درجات الحرارة ثابتة طوال السنة لا تتغير. في الصباح درجة

obeikandl.com

الحرارة تتراوح بين ١٧ و٢٢. وفي المساء تتراوح بين ١١ و١٤. يمكنك أن ترتدي ملابسك الصيفية في الصباح وتضيف إليها جاكيت في المساء، وغالبا لا يكون هناك داعٍ لهذا الجاكيت. ينطبق على الجو هنا ما قالته أغنية «يا حلاوة شمسنا» من أن (الجو عندنا ربيع طول السنة)، وهي كذبة صريحة وفادحة عندما تقال عن مصر، لا شك أن كاتب هذه الأغنية كان يقصد جو أديس أبابا!

فيصل فيصل! في أديس ابابا

تتشابه إثيوبيا كثيرا مع مصر من ناحية المساحة (مليون كيلومتر مربع لمصر ومليون ومائة ألف لإثيوبيا) ومن حيث عدد السكان (٩٠ مليونا لمصر و٩١ لإثيوبيا وفقا لتقديرات ٢٠١٢)، ومع هذا فالناتج المحلي الإجمالي الأثيوبي قليل جدا مقارنة بمصر، حيث يبلغ في حالة مصر ٥٣٣ مليار دولار (تقديرات ٢٠١٢)، بينما في حالة إثيوبيا ٩٥ مليار دولار (تقديرات ٢٠١١)، مع ملاحظة أن مصر ليست النموذج الأمثل للمقارنة مع كل الفساد المنتشر في قطاعات الإدارة فيها، وهذا يدلنا على أن إثيوبيا فيها مشكلة فقر حقيقية.

هناك عدد هائل من الشحاذين في شوارع أديس أبابا، عدد غير طبيعي. فقر يصل إلى حد الجوع والهزال. يتجمعون في الأماكن التجارية وفي الميادين وأسفل الكباري يفترشون الأرض بأعداد كبيرة.

كان قد تمّ التنبيه علينا قبلا بألا نعطي شيئا للشحاذين، فأولا هذا ضد القانون، وثانيا إذا أعطيتَ أحدهم شيئا سيتجمع حولك

الباقون فيما يشبه المظاهرة وستكون مشكلة حقيقية.

ومع ذلك فالناس طيبون جدا ولديهم قدر كبير من الرضا. حقا الشعب الأثيوبي شعب طيب وودود، ويمكنني أن أعطي عشرات الأمثلة على هذا لولا أن الأمر سيتحول إلى برنامج حياتي أو كلام من دهب.

مكاتب مبادرة حوض النيل (1)

يقال عن المصريين أنهم شعب طيب، وكان يجب أن أرى الشعب الأثيوبي لأعرف أن هذه المقولة خاطئة تماما وتندرج تحت بند الخرافات والأساطير!

في ذلك الصباح لم يكن هناك ما نفعله -ماجد وأنا- بعد أن فشلنا أمس في وزارة الصحة، فقررنا أن نأخذ جولة على الأقدام في المدينة.

أخذنا نتجوَّل في بعض الشوارع الخلفية. الكثير من الشوارع الجانبية والفرعية هنا غير مرصوفة، فإذا سارت سيارة في الشارع أثارت عاصفة من التراب. الجو هنا نقي جدا لا يعكره سوى تراب تلك الشوارع غير المرصوفة إضافة إلى عوادم السيارات. رائحة عادم السيارات هنا كريهة جدا، ويبدو أن البنزين المستخدم قليل الأوكتان إلى حد كبير. هم لا يكتبون رقم الأوكتان في محطات البنزين لكن لعله بنزين ٥٠ أو ٦٠ على أقصى تقدير!

البنزين -على رداءته الشديدة هذه- مرتفع السعر جدا، إذ يصل سعر اللتر إلى ما يعادل ١,١ دولار أمريكي. إذا قارنا هذا بسعر اللتر في مصر (٠,٣ دولار تقريبا) نجد أن البنزين في إثيوبيا أغلى منه في مصر بثلاثة أضعاف ونصف[٣]، لهذا فمن أكثر الأمور تكلفة في إثيوبيا المواصلات. أقل مشوار للتاكسي يتكلف ما يعادل نحو سبعين جنيها مصريا. والتاكسيات هنا عبارة عن سيارات قديمة ومتهالكة للغاية تكاد تنفصل أجزاؤها وهي تسير! هناك بديل آخر هو الميكروباصات، ولها نفس شكل ونظام الميكروباصات في القاهرة، فلكل سيارة سائق وصبي تبّاع يجمع الأجرة وينادي على الركاب! أسعارها رخيصة جدا لكن لها مسارات محددة ولا تذهب إلى كل الأمكنة. يمكنك أن تبدل بين عدة خطوط منها لتصل إلى المكان المطلوب لكن هذا الأمر يحتاج إلى أن يصاحبك شخص أثيوبي يعرف المكان ويتفاهم بالأمهرية مع السائقين، لأن أسماء الأماكن صعبة ولن يكون بإمكان الأجنبي تبديل الخطوط في المحطات الصحيحة، وهم يسمون هذه الميكروباصات: تاكسي!

مكاتب مبادرة حوض النيل (٢)

هناك أيضا أوتوبيسات عامة حمراء اللون وطويلة جدا، تبدو مثل أوتوبيسين وقد تم لصقهما معا، وهي صناعة صينية.

٣ كان هذا قبل أن تتضاعف أسعار البنزين فى مصر عام ٢٠١٤، ثم عدة مرات بعد ذلك.

طبيعة الأرض هنا جبلية، وقد لاحظت أن السائقين دائما ما يضعون السيارة على وضع «المور» عند أي منحدر ويجعلونها تنحدر الطريق كله بتأثير الجاذبية دون أن يضغطوا على دواسة الوقود. يبدو أن هذه طريقة لتوفير البنزين، والعكس تماما يحدث في مصر عندما تنطلق السيارات في منازل الكباري كالصواريخ!

أثناء تجوالنا على الأقدام مررنا بسور قصير يحيط بحديقة غناء بها بعض المباني القصيرة، فدخلنا وأخذنا نتجول والتقطنا عشرات الصور هنا وهناك، لنفاجأ في النهاية بلافتة على أحد المباني تقول بأن هذا مقر أحد مكاتب مبادرة حوض النيل **Nile Basin Initiative** للمنطقة الشرقية، والمعروف بالـ **ENTRO**! في كل هذا لم يستوقفنا أحد أو يسألنا ماذا نفعل! لو كان هناك مقر مماثل لهذه المؤسسة في مصر لكان مجرد الاقتراب من السور في حد ذاته مشكلة!

لم أجد هنا الحساسية الشديدة من الكاميرا التي ألقاها في مصر. في مصر إذا رآني أحد أحمل الكاميرا فتح معي تحقيقا في الشارع وطلب أن يرى بطاقتي! أما في أديس فقد التقطت مئات الصور دون أن يسألني أحد ولو لمرة واحدة ماذا أفعل.

عموما الحس الأمني هنا قليل جدا مقارنة بمصر، ويبدو أننا كمصريين اعتدنا على أساليب الدولة البوليسية فأصبحنا نستغرب سواها، فنحن لا نستطيع أن نتصور مثلا أن الناس في أمريكا يدفعون تذاكر ويزورون البيت الأبيض بينما الرئيس يعمل بالداخل!

أشياء عديدة بحاجة إلى أن تتغير لتصبح بلادنا أكثر ألفة ورحمة.

obeikandl.com

(5)

في إثيوبيا، كل الساعات غير مضبوطة!

كنت قد لاحظت هذا الأمر للمرة الأولى في السيارة التي استأجرها ماجد لتقلني من المطار. نظرت إلى الساعة الرقمية في تابلو السيارة فوجدت السائق قد أهمل ضبطها.

فيما بعد لاحظت الشيء نفسه في عدة أماكن: ساعة الميكروباص، ساعة معلقة على كنيسة أثرية.. إلخ. ثم سمعت ماجد يتفق مع أحد السائقين أن يأتي ليأخذنا في الثامنة صباحا، ثم شدد عليه: **International time not Ethiopian time**، فيضحك السائق ويقول: **OK**!.

حتى في هذا كنت أظن أن ماجد يشدد عليه ليأتي في الموعد بالضبط على أساس أن السائقين الأثيوبيين لا يلتزمون بالمواعيد،

مثلما أقول لأحد في مصر أن مواعيدي إنجليزية دلالة على دقتها، لكن اتضح لي أنني كنت مخطئا، وأن الساعات في إثيوبيا ليست (غير مضبوطة) كما كنت أظن، لكنها مضبوطة على توقيت آخر!

ففي إثيوبيا لديهم نظام آخر لمعرفة الوقت. في هذا النظام لا يبدأ اليوم من منتصف الليل وإنما من الفجر.

في التوقيت الذي نستخدمه (ويستخدمه باقي العالم) ينقسم اليوم إلى دورتين كل منها ١٢ ساعة، تبدأ الأولى من منتصف الليل (١٢ صباحا) إلى منتصف النهار (١٢ ظهرا)، والثانية من منتصف النهار إلى منتصف الليل. لكن في التوقيت الأثيوبي تبدأ دورة الوقت الأولى من الفجر وحتى الغروب، ثم الدورة الثانية من الغروب وحتى الفجر.

هذا يعني أن اليوم يبدأ في السادسة صباحا، فتكون الساعة السابعة صباحا هي الواحدة بتوقيتهم، أما الساعة ١٢ ظهرا فهي الساعة السادسة من النهار بتوقيتهم. ببساطة اطرح ٦ ساعات من التوقيت الغربي/ العالمي لتحصل على التوقيت الأثيوبي.

هذا التوقيت هو نفسه الذي كان مستخدما في أيام المسيح، فحين تتحدث الأناجيل عن أن المسيح قد صلب في الساعة السادسة من النهار، فهذا يعني الساعة الثانية عشرة ظهرا. أيضا لازالت

الكنيسة القبطية المصرية تستخدم نفس التوقيت لترتيب الصلوات، فمثلا هناك صلاة باكر أو الساعة الأولى من النهار (أي السادسة صباحا)، وصلاة الساعة الثالثة (أي التاسعة صباحا) وصلاة الساعة التاسعة (أي الثالثة عصرا) وهكذا.

ليت الأمر يتوقف عند اختلاف توقيت الساعات، لكن في إثيوبيا حتى التاريخ نفسه مختلف! فإذا كنا في ٢٠١٣ وقت كتابة هذه السطور، ففي إثيوبيا لازال الأثيوبيون يعيشون في ٢٠٠٥!

تقدم لك إثيوبيا آلة زمن مجانيّة تعود بها إلى الوراء سبع سنوات وبضعة أشهر بمجرد أن تهبط إلى المطار، الأمر الذي لا يستطيع أن يوفره لك أي بلد آخر!

كان الوقت عصرا بينما تشير الساعة إلى التاسعة والنصف!

ولهذا ففي ١٢ سبتمبر ٢٠٠٧ أقيمت في إثيوبيا احتفالات كبيرة بمناسبة الوصول لسنة ٢٠٠٠!

التقويم الأثيوبي مماثل للتقويم المصري القديم، والذي تستخدمه الكنائس المصرية لتحديد أعيادها ويسمى الآن بالتقويم القبطي، حيث تتكون السنة من ١٢ شهرا كل منها ٣٠ يوما، وهناك شهر ثالث عشر يكون خمسة أيام في السنوات العادية وستة أيام في السنوات الكبيسة. قام الأثيوبيون فقط بتغيير أسماء الشهور إلى أسماء أخرى.

تذكر الكثير من المصادر خطأً أن سبب فرق السبع سنوات بين إثيوبيا والعالم يرجع إلى تبني إثيوبيا التقويم اليولياني (الذي ينسب إلى يوليوس قيصر الإمبراطور الروماني)، في الوقت الذي تخلى فيه العالم عن التقويم اليولياني لصالح التقويم الجريجوري المستخدم حاليا، ففي عام ١٥٨٢ قرر البابا جريجوري الثالث إحلال التقويم الجريجوري محل اليولياني. قلدت معظم دول العالم روما في الانتقال إلى التقويم الجريجوري تباعا (وقد انتقلت مصر إلى استخدام التقويم الجريجوري عام ١٨٧٥ في عهد الخديوي اسماعيل)، أما الكنيسة الإثيوبية القديمة فقد ظلت على التقويم القديم.

لكن الفرق بين التقويمين اليولياني والجريجوري كان ١٠ أيام فقط عام ١٥٨٢، ووصل إلى ١٣ يوما حاليا، وعلى هذا فهذا الأمر لا يفسر فرق السنوات السبع. هذه الثلاثة عشر يوما تظهر في الفرق بين عيديّ الميلاد بين الكنيستين الغربية والشرقية، إذ تحتفل الكنيسة الغربية بعيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر، بينما تحتفل الكنائس الشرقية به يوم ٧ يناير، وبمرور السنوات سيتسع الفرق بين التقويمين إلى ١٤ يوما وسيصبح عيد الميلاد في الكنائس الشرقية يوم ٨ يناير نحو عام ٢١٠٠.

على أن السبب الحقيقي لهذا الفرق يرجع إلى خلاف حول تاريخ ولادة المسيح، فالكنيسة الإثيوبية (وتابعتها الكنيسة الإريترية) تعتمدان على حسابات إنيانوس السكندري **Annianus of Alexandria** (وهو يختلف عن إنيانوس بابا الإسكندرية الثاني) الذي قام عام ٤٠٠ الميلادي بحساب موعد بداية السنة الأولى وأعلن أنها في ٢٩ أغسطس عام ٨ الميلادي.

أما الأوروبيون فيعتمدون على حسابات ديونيسيوس القصير

Dionysius Exiguus التـي أجراهـا عـام ٥٢٥، وقـد حسـب الموعـد ثـماني سـنوات مبكـرا عـن الموعـد الـذي حسـبه إنيانـوس.

هـذا يجعـل التقويـم الأثيـوبي أقـل بثـماني سـنوات عـن التقويـم الغربي في الفـترة مـن ١ ينايـر حتـى ١٠ أو ١١ سـبتمبر (رأس السـنة في إثيوبيـا)، ثـم أقـل منهـا بسـبع سـنوات فقـط في باقـي شـهور السـنة.

تقويـم مختلـف وسـاعة مختلفـة وشـعب يعتـز كثـيرا بتراثـه ويفتخـر باختلافـه عـن كل دول العـالم، هـذه هـي إثيوبيـا.

obeikandl.com

obeikandl.com

(6)

كنت قد اشتريت دولارات أمريكية من مصر لتبديلها بالعملة المحلية هنا. التعامل بكروت الائتمان في هذا البلد نادر، ربما في الفنادق فقط.

واحد بر

العملة الإثيوبية تدعى بِرّ **Birr**. الجنيه المصري كان يساوي ٣ بِرّ تقريبا (قبل أن ينهار مؤخرا أمام الدولار فيرتفع البِرّ قليلا بالضرورة). عندما أَشتري أي شيء أقسم في ذهني على ٣ لأفهم قيمته، وفي معظم الأحيان كنت أكتشف مدى ضعفي في الحساب فأعتمد على الآلة الحاسبة التي في الهاتف المحمول!

obeikandl.com

خمسة بر

اكتشفت كم تبدو عملاتنا الورقية في مصر جميلة ومبهجة عندما رأيت البِرّ! عملاتنا تلتزم بقاعدة وضع مسجد أثري على وجه العملة، ثم منظر فرعوني على ظهرها، وهي متعددة الألوان وذات تصميم جيد، أما العملات الإثيوبية فيغلب على كل فئة منها درجات لون واحد، ولا تخرج صورها عن مناظر للحرف التقليدية أو بعض المناظر الطبيعية، ولا يمكن أن نعتبرها معبّرة عن التاريخ العريق للبلاد.

للأسف العملات الورقية في إثيوبيا في حالة سيئة للغاية ومعظمها غاية في القذارة، رزم العملات يكاد يتساقط منها الطين، ومن النادر أن ترى ورقة سليمة. أيضا معظم الورقات النقدية ممزق وبعضها به أجزاء كبيرة مفقودة قد تصل إلى ربع الورقة النقدية! لكن الناس مع ذلك يتقبلون هذه العملات كأمر مسلّم به ولا يرفضونها في المعاملات المالية مهما كان حجم الجزء المفقود من الورقة، وليس مثل مصر التي كثيرا ما يرفض فيها البائع أن يأخذ الورقة النقدية إذا وجدها قديمة قليلا.

ذهبت إلى السوبر ماركت لألقي نظرة، ولأشتري منتجات محلية أعود بها إلى مصر.

أسعار السوبر ماركت مثل مصر تقريبا وربما أغلى قليلا. للأسف تكاد لا توجد أي منتجات محلية في السوبرماركت. كلها منتجات مستوردة من دول مختلفة وماركات عالمية وعربية. رأيت علب لبن إنجوي المصري على الأرفف. تبدو الصناعة هنا في خبر كان حتى في مجال الصناعات الغذائية البسيطة. المنتج المحلي الوحيد الذي وجدته كان البن. البن رخيص هنا مقارنة بمصر ولا عجب فهذه هي بلد البن. لكن حتى البن الذي عدت به كان مطحونا بشكل رديء جدا واضطررت إلى إعادة طحنه عدة مرات ليصبح صالحا للاستعمال.

الخبز المحلي

بالنسبة للطعام فأكثر ما أعجبني هو الخبز! توجد مخابز هنا تقدم كل أنواع الخبز وبجودة عالية جدا. هناك أيضا نوع من الخبز المحلي التقليدي على شكل شرائح طويلة إسفنجية يتم طيها بشكل حلزوني، وطعمه حامض ولم أستطع أن أستسيغه. يسمونه إنجيرا **Injera** ويمكن اعتباره خبز الفقراء لأنه رخيص جدا، وهو يصنع من دقيق حبوب نبات يسمى التف **Teff**. أما التف فهو نبات عشبي يشبه الحشيش! وهو غني بالحديد والألياف والبروتين والكالسيوم.

ولكي يصنع الإنجيرا يخلط دقيق التف مع الماء وبادئة العجين

ويترك ليختمر لعدة أيام، وهذا هو سر الطعم الحامض. بعدها يخبز على أطباق كبيرة (تصنع عادة من الطمي)، ويكون سطح الرغيف الملامس للطبق أملس بينما يكون السطح العلوي للخبز مساميا أسفنجيا.

نبات التف

ولأن الخبز سامي ومجوّف من الداخل فهو مناسب للطعام الأثيوبي الذي يحتوي على كثير من المرق والصلصات، حيث يلتقط الخبز هذه الصلصات في مسامه أثناء (التغميس)!

مع الإفطار هناك البابايا والكثير من البابايا، بابايا على شكل شرائح وبابايا على شكل عصير، وهي فاكهة تشبه المانجو لكن ليس لها طعم المانجو بل هي تقريبا بلا طعم! الأفاكادو من الفواكه المشهورة هنا لكني لم أستطع أن أحبه. البيض يقلى وبداخله الكثير من الفلفل والطماطم المقطعين إلى شرائح صغيرة جدا. طبق الفول يمتليء بقطع الطماطم والبصل حتى يكاد الفول أن يكون فيه مجرد ضيف! اللحم عبارة عن قطع تقطع بالعظم وتغرق في بحور من الصلصلة الحارة. هناك أيضا شرائح الخيار والجزر التي يتم قليها في الزيت! أكلت أيضا أشياء كثيرة غريبة الطعم لا أعرف ما هي ولم أهتم أن أسأل!

عامة الطعام هنا جيد والمطاعم رخيصة جدا. إثيوبيا بها ثروة

حيوانية كبيرة، لذا فاللحوم بأرخص الأسعار. يمكنك أن تأكل طبقا كبيرا ومحترما من اللحوم المشوية مع السلاطات والأطباق الجانبية ثم أطباق الحلو ثم تشرب ما تشاء من قهوة ولن تزيد الفاتورة بحال عن مائتي بِرّ، أي حوالي ٦٥ جنيها، الأمر الذي يكلف في القاهرة حوالي ثلاثة أضعاف هذا المبلغ.

ورغم الانخفاض النسبي في أسعار الطعام إلا أنها تعتبر غالية بالنسبة لأعداد كبيرة من الناس، حيث يقع ما يقرب من نصف السكان تحت خط الفقر، وتحتل إثيوبيا المركز الرابع عشر في قائمة ٢٠١٢ لأفقر دول العالم.

في وجود موارد كبيرة وأراض خصبة وثروة بشرية من الأيدي العاملة الرخيصة كان يجب أن يكون البلد أغنى من هذا بكثير لو توافرت أسس الحكم والإدارة السليمة، وأعتقد أن هذه هي نفس مشكلتنا في مصر.

obeikandl.com

obeikandl.com

(7)

وصل باقي أعضاء الفريق الطبي، وصار علينا أن نعمل.

كان معظم أعضاء الفريق من أمريكا وكندا، مع طبيبة من بريطانيا، و٤ من مصر. الأعمار تتراوح بين نيّف وعشرين ونيّف وستين!

وعلى الطريقة الأمريكية، كان الجميع ينادون بعضهم بعضا بالاسم مجردا بدون ألقاب مهما كان العمر! لكني لم أستطع أن أستسيغ مع ذلك أن أنادي طبيبة تقترب من السبعين باسمها مجردا، لذا كنت الوحيد -بعقدي المصرية المعتادة - الذي ظلّ يستخدم الألقاب طوال الوقت!

انقسمنا إلى عدة فرق. كنا في كل يوم نذهب إلى إحدى دور المسنين أو دور الأيتام أو ملاجيء الذين بلا مأوى. يتم إفراغ ما تيسر من غرف لتحويلها إلى أماكن مؤقتة للكشف ومكان آخر لوضع الأدوية وعمل صيدلية بدائية لصرف الأدوية.

وبمعاونة بعض الأثيوبيين من طلبة الطب أو التمريض، والذين

obeikandl.com

تطوعوا بالترجمة بين الإنجليزية والأمهرية، يتم تنظيم الناس وتوجيههم إلى الطبيب الذي يتناسب تخصصه مع الشكوى، ثم مصاحبتهم للترجمة بين المريض والطبيب، ثم توجيههم إلى الصيدلية والترجمة مرة أخرى لشرح طريقة استخدام الدواء.

وبالرغم من خبرتي السابقة -التي لا بأس بها أبدا -في قراءة وصرف الروشتات الطبية، إلا أنني فوجئت بأنني أجد صعوبة كبيرة في قراءة الروشتات الموجهة إليّ، حتى أنني كنت أضطر إلى اللجوء كثيرا إلى زملاء المهنة الكنديين للاستفسار.

بداية الخطوط السيئة «هي هي»، فليست خطوط الأطباء في أمريكا بأفضل من خطوط الأطباء المصريين، ويبدو أن هناك مادة للخط السيء تدَّرس في كليات الطب على مستوى عالمي! لكن كانت الروشتة تحتوي على أسماء تجارية كثيرة لأدوية لا نعرفها في مصر، ومن ناحية أخرى فقد كانت طريقة الاستعمال تكتب في الروشتة باستخدام اختصارات لاتينية كنا قد درسناها في السنة الأولى في الكلية، ولما كنا لم نستخدمها إطلاقا فقد تبخرت تماما، ولم يكن قد تبقى في ذاكرتي منها سوى **b.i.d** التي تعني مرتين يوميا، و **t.i.d** التي تعني ثلاث مرات يوميا! المشكلة الثالثة هي أن الأطباء كانوا يمزجون بين هذه الاختصارات اللاتينية واختصارات أخرى باللغة الإنجليزية يبدو أنها شائعة في أمريكا ولا أعرفها أيضا.

لذا فبعد فترة من الفشل في قراءة الروشتات، تركت مهمة صرف الروشتة للزملاء وتخصصت في مسألة إيصال معلومات استخدام الدواء إلى المريض عبر المترجم.

الأدوية في الغرب تأتي في علب كبيرة تحتوي على كمية من

الأقراص أو الكبسولات تتراوح بين مائة وألف! وليس في شرائط مغلفة في علب أنيقة كما نحن معتادون. يحدد الطبيب مدة العلاج باليوم ويحسب الصيدلي عدد الأقراص التي ستستخدم في فترة العلاج ويتم صرف كمية الدواء المطلوبة بالقرص. لا قرص ناقص أو زائد. بالتالي يحصل المريض على الكم الصحيح من الدواء بالضبط فلا يفرِط في استخدام دواء لا فائدة منه ولا يأخذ كمية أقل لا تشفي فتستدعي العودة للطبيب. وهناك قيود صارمة على عملية صرف الدواء، فلا دواء بدون روشتة إلا أدوية قليلة جدا، وليس كالفوضى العارمة السائدة عندنا بحيث أن أي شخص يشتري أي دواء بناء على نصيحة الزميل المجرِّب أو الجارة التي استخدمت هذا الدواء و«ريَّحها قوي».

رغم البيوت غير الآدمية، إلا أن جمال الطبيعة يخفف كثيرا من المأساة

كان النظام كالآتي: قراءة الروشتة وحساب عدد الأقراص/ الكبسولات/ الزجاجات المطلوبة وتعبئتها في أكياس صغيرة، ثم فك شفرة الاستعمال وكتابته بإنجليزية واضحة على قطعة ستيكر تلصق على كيس كل دواء، ثم توليت أنا المرحلة الأخيرة وهي شرح الاستعمال والرد على الاستفسارات من خلال المترجم.

بعد فترة من صرف الروشتات خطر لي أن أتأكد أن المريض فعلا مستوعب لطريقة الاستخدام، فبعد أن انتهى المترجم من الشرح وكاد المريض أن يذهب، طلبت من المترجم أن يطلب منه أن يعيد

عليه طريقة الاستخدام، وكما توقعت ظهر أنه لم يتذكر شيئا!

ربما لا يكون من الصعب أن تتذكر أن القرص الأحمر يؤخذ مرة واحدة يوميا وأن الأصفر يؤخذ ثلاث مرات بعد الأكل، لكن بعض الناس يجدون صعوبة في ذلك، خاصة مع انعدام التعليم و-أحيانا- انخفاض نسبة الذكاء بسبب سوء التغذية المفرط.

قمنا بشرح الاستعمال مرة ثانية وطلبت منه إعادة ترديدها ففشل ثانية، وفي المرة الثالثة فشل أيضا. هنا كان لابد من تغيير النظام.

قررت العودة إلى النظام الذي نتبعه في مصر مع غير المتعلمين، بوضع شرطة واحدة بالقلم الجاف على العلبة إذا كان القرص يؤخذ مرة واحدة يوميا، وشرطتين إذا كان يؤخذ مرتين، وهكذا. حاولت إقناع الصيادلة بضرورة كتابة طريقة الاستعمال بهذه الطريقة المضمونة على أكياس الدواء، لكنهم لم يقتنعوا، فهي مخالفة جسيمة في عرف المهنة لديهم أن يخرج الدواء إلى المريض بدون أن يكتب عليه بإنجليزية واضحة طريقة الاستعمال بالتفصيل، وهم معتادون على كتابة الاستعمال بطريقة مفرطة في استخدام الكلمات دون داعٍ في رأيي! فما يمكن أن يكتب عليه «قرص ثلاث مرات» يكتبونه هم بصيغة تقترب من شيء كهذا: «خذ قرصا واحدا ثلاث مرات كل يوم في الصباح والظهر والليل». هذه هي قوانين صرف الأدوية في بلادهم. وهكذا تم الاتفاق في النهاية على ألا نخل بالقوانين وأن نراعي ظروف المرضى فاستخدمنا النظامين في نفس الوقت.

ثم أثبتت طريقة استخدام «الشُّرَط» المصرية نجاعتها وبدأ الناس يفهمون الاستخدام، وهكذا شعرت أخيرا أنني ذو فائدة كصيدلي من العالم النامي يمتلك خبرات معينة لا يمتلكها صيادلة أمريكا وكندا!

(8)

كانت الأوضاع في الملاجيء ودور المسنين التي عملنا فيها في غاية المأساوية. الناس يعانون من العوز لكل شيء. لا توجد مياه للشرب ولا للتنظيف. الطعام شحيح جدا. يسكنون في عشش من الصفيح الصديء الذي لا يقي من برد ولا من مطر. الرعاية الطبية شبه معدومة لدرجة أن أي مرض بسيط يمكن أن يتفاقم إلى حد مُهدِّد للحياة. هناك انتشار كبير للجرب وفطريات الجلد. مع الأسف لم تكن لدينا أدوية للجرب ولا للفطريات، وحين بحثنا عنها في الصيدليات المحلية لم تكن متوفرة.

بيوت الصفيح (١)

ثم هناك الإيدز. يقدر عدد الأشخاص المصابين بالإيدز في إثيوبيا بنحو مليون شخص، يموت منهم ٦٧ ألفا جراء المرض سنويا وفق تقديرات ٢٠٠٧، ولعل الرقم قد صار أكبر بكثير

الآن (تذكر بعض المصادر أن عدد المصابين بالمرض نحو مليونيّ شخص). علاج الإيدز مكلف جدا وغير متوفر، لذا لا يلقى هؤلاء المرضى أي رعاية في الغالب، كما أن الإيدز مسئول عن معظم أمراض الجلد الفطرية المنتشرة هنا. يقدر عدد الأطفال الذين صاروا يتامى بسبب هذا المرض بنحو ٦٥٠ ألف طفل.

بيوت الصفيح (٢)

متوسط العمر في البلاد يصل إلى ٥٧ عاما (رقم منخفض جدا). هناك ١٢ ألف طفل شوارع في أديس أبابا وحدها، وهناك تقارير حديثة تحذر من اقتراب شبح مجاعة من البلد بسبب التناقص المستمر في معدل الأمطار في السنين الماضية وموجات الجفاف. عدد المشردين الذين بلا مأوى في الشوارع كبير جدا، إذ تقدرهم مؤسسة اليونيسيف بمائة ألف في أديس أبابا وحدها، وحوالي ٦٠٠ ألف على مستوى إثيوبيا.

الحقيقة أن الفقراء في مصر في غاية الترف إذا قارناهم بفقراء إثيوبيا!

ورغم كل هذه الأوضاع المأساوية، وحالة الفقر المدقع، وسوء التغذية الحقيقي، إلا أنني وجدت - في تعاملي معهم في تلك المستوصفات البدائية التي ارتجلناها- أن الناس لطيفو المعشر وقنوعون ويستجيبون للنظام، وهو ما يتناقض تماما مع خبراتي السابقة في الأمور المماثلة في مصر!

كانت لي خبرة مسبقة في العمل الطبي الخيري في مصر، والذي يتم توزيع الأدوية فيه مجانا، كما عملت لنحو سنتين في مركز طبي حكومي من النوع الذي يتم الكشف فيه بجنيه واحد ثم يتم صرف الأدوية مجانا. كنت أعاني الأمرّين مع المرضى. أي شيء يوزع مجانا في مصر يتسبب في مشكلات لا حصر لها. بغض النظر عن التزاحم والتكالب ومحاولة الحصول على أكبر كم من الدواء، كان المرضى دائما ما يدّعون أمراضا ليست فيهم ليأخذوا أدويتها! أتذكر رجلا كان يتردد عليّ في صيدلية المركز الطبي باستمرار ويظل يلحّ في طلب علاجات عديدة ملصقا أمراض الدنيا والآخرة في زوجته المقيمة في الصعيد.

في مرة أتى طالبا دواء للإسهال لزوجته. سألته:

– بتقول مراتك في الصعيد عندها إسهال؟

– آه.. إسهال جامد.

– آخر مرة شفت مراتك امتى؟

– من ثلاث شهور..

– بقى لها ثلاث شهور عندها إسهال؟

– آه..

– مممممممممم.. وعندها إمساك كمان؟

– آه عندها إمساك..

- عندها إسهال وإمساك في نفس الوقت؟!

- هه؟ آه!

ثلاثة أشهر من الإسهال كانت كفيلة بجعلها تصاب بصدمة جفاف، ثم هل يعقل أن يكون لديها إسهال وإمساك في نفس الوقت؟ لم يفهم الفخ الذي نصبته له. بالطبع لا تعاني زوجته من شيء. هو يريد أن يأخذ الأدوية لتحويشها في البيت أو لبيعها، فهي ببلاش وأبو بلاش كتّر منه. سلوك مؤسف ما انفككنا نعاني منه في مصر.

لكن ما أعتقد أنه يخفف -إلى حد ما -من حدة أوضاع الفقراء المتردية في إثيوبيا هو جمال الطبيعة. إن وضعك المأساوي وأنت تجلس على الحشائش أسفل شجرة في إثيوبيا، أمر يختلف حتما عن وضعك المأساوي في المناطق العشوائية المكدسة في مصر، حيث لا ترى عيناك سوى عواميد الأسمنت الرمادية وحوائط الطوب الأحمر غير المبيّضة. أن تكون معدما في جو نقي ومعتدل دائما، يختلف عن أن تكون كذلك وأنت تستنشق كل يوم أطنانا من الملوثات والأتربة. ثم أن توزيع السكان على مساحة كبيرة من الأرض يخلق حالة من البراح المريح للأعصاب، بعكس حالة الزحام والتكدس التي نعاني منها في مصر، والتي تؤدي إلى انفلات الأعصاب.

لعل هذا ما يجعل نفوس الناس - برغم الأوضاع المتردية- أكثر هدوءا وتقبلا ورضا.

(9)

كنت اليوم في ضيافة لوسي!

لـوسي هـي الجـدة الكـبرى للبـشر. لا نعـرف حتـى اليـوم - أنثروبولوجيـا- جـدة أكـبر منهـا، وهـي هنـا في إثيوبيـا. تسـكن لـوسي في المتحـف القومـي الأثيـوبي الـذي زرتـه اليـوم.

المتحف القومي الإثيوبي

عندمـا تدخـل المتحـف القومـي الأثيـوبي، سـتلاحظ أن لـه حديقـة ضخمـة رائعـة بهـا العديـد مـن التماثيـل والمعروضـات الأثريـة في نـوع مـن العـرض المفتـوح (مثـل معظـم المتاحـف في الحقيقـة)، ثـم بعـد ذلـك سـتدخل المبنـى الرئيـسي للمتحـف. الغريـب هنـا، وفي معظـم الأماكـن التـي تُدفـع تذاكـر لزيارتهـا في إثيوبيـا، هـو موضـع مكتـب قطـع التذاكـر. الطبيعـي في أي متحـف في العـالم هـو أن يوجـد المكتـب عـلى البـاب الخارجـي لتدفـع التذكـرة قبـل الدخـول،

ثم تعطي التذكرة لفرد أمن يتأكد منها على البوابة قبل أن تدخل، لكن هنا دخلت من البوابة الخارجية وشاهدت كل القطع المعروضة في الحديقة وصورتها، ثم دخلت المتحف نفسه، حيث وجدت مكتب قطع التذاكر يقع بالداخل بعد الباب الداخلي! يمكنك - إن كان الوازع الضمائري لديك ليس من النوع المتيقّظ وإذا كان المكان مزدحما- أن تتجاهل مكتب التذاكر وتتسلل إلى الداخل دون أن تدفع وفي الغالب لن ينتبه لك أحد! نفس هذه المشكلة تتكرر في معظم الأماكن في إثيوبيا!

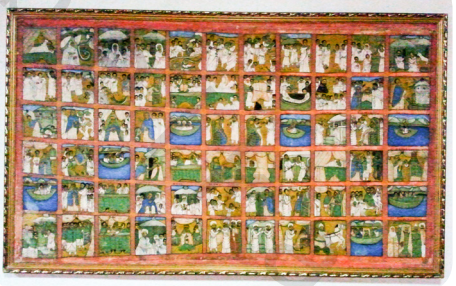

قصة ملكة سبأ

المتحف ليس متخصصا في حقبة معينة أو نوع معين من الآثار، وإنما هو «خلطبيطة» كبيرة من أشياء قيمة جدا ولا تقدر بثمن كحفريات عمرها ملايين السنين، وأشياء أقل قيمة بشكل كبير كلوحات فنية حديثة لبعض الفنانين الأثيوبيين.

تيجان وملابس وكراسي الإمبراطور هيلاسلاسي، أزياء شعبية، صور قديمة، لوحات وتماثيل معاصرة، سيارة الإمبراطور منيليك الثاني، مدافع وأسلحة قديمة.. إلخ.

هناك لوحة متميزة تحكي بالتفصيل - على طريقة القصص المصورة- قصة ملكة سبأ مع الملك سليمان.

من شبه المتفق عليه أن مملكة سبأ تقع في اليمن، لكن الأثيوبيين

يعتقدون أن ملكة سبأ كانت إثيوبية وأنها أنجبت من سليمان، وأن ملوك إثيوبيا الذين حكموها عبر التاريخ هم من سلالة سليمان وملكة سبأ.

لوسي

يذكر العهد القديم أن ملكة سبأ سمعت عن حكمة سليمان فأتت إليه في أورشليم بقافلة عظيمة محملة بالذهب والجواهر لتمتحنه بمسائل، ولما جاوبها بحكمة عن كل ما سألته عنه، مدحت حكمته وأهدته ذهبا كثيرا، وهو أيضا أهداها هدايا كثيرة حسب كرمه. لا يذكر العهد القديم بعد ذلك شيئا عما حدث للملكة بعد هذه الزيارة.

يذكر القرآن قصة مختلفة قليلا، حيث سليمان هو الذي أرسل في طلب ملكة سبأ بعد أن سمع عنها من الهدهد، وقد أرسل يدعوها هي وبلادها إلى عبادة الله. أرسلت ملكة سبأ إلى سليمان هدية لم يقبلها وأراد محاربة بلادها، لكن عفريتا من الجن أتى له بعرشها، فلما رأت مدى عظمة عرش سليمان أسلمت.

لا يذكر العهد القديم ولا القرآن اسما لهذه الملكة، أما اسم بلقيس الذي اشتهرت به فقد ورد في كتابات العرب.

أما الأثيوبيون فيعتقدون أن ملكة سبأ كانت ملكة إثيوبية واسمها ماكيدا، وأنها قضت تسعة أشهر عند سليمان، وفي طريق

عودتها إلى إثيوبيا أنجبت طفلا من سليمان اسمه منليك، والذي يعني ابن الحكيم، وهو الملك الذي تنحدر من سلالته ملوك إثيوبيا، وعلى هذا فملوك إثيوبيا هم أحفاد سليمان. أما الإمبراطور هيلاسلاسي الشهير فهو الملك رقم ٢٢٥ من الزيجة التي تمت بين سليمان وماكيدا. النسخة الإثيوبية من القصة مذكورة في كتاب مجد الملوك، وهو كتاب قديم يتجاوز عمره السبعمائة عام يحكي باللغة الجعزية (اللغة الإثيوبية القديمة) قصص ملوك إثيوبيا من سلالة سليمان، ويعتقد الأثيوبيون في قدسيته.

عموما لم يعثر علماء الآثار والحفريات على أي دليل أثري بخصوص ملكة سبأ. يعتقد بعض علماء الآثار أن حضارة سبأ امتدت في بعض الفترات إلى شمال إثيوبيا حيث أنشأ السبئيون مستعمرات لهم هناك، بينما يعتقد البعض الآخر أن مملكة سبأ كانت تضم كلا من اليمن وإثيوبيا.

على أن أهم أقسام المتحف وأعظمها قيمة هو قسم الأنثروبولوجي، الذي يحتوي على حفريات أشباه البشر الأوائل **Hominids**، أو تلك الحلقة الوسيطة المفقودة بين الإنسان والقرد. أهم حفريات أشباه البشر وجدت في إثيوبيا، لذا يعتبر الكثير من العلماء أن إثيوبيا هي مهد البشرية. بالطبع أهم حفرية من هذا النوع هي لوسي.

عاشت لوسي منذ ٣,٢ مليون سنة، وهي عبارة عن مجموعة من العظيمات تمثل حوالي ٤٠٪ فقط من الهيكل العظمي. تم اكتشافها عام ١٩٧٤ في وادي الأواش في عفار بإثيوبيا، وهي تنتمي إلى فصيلة أوسترالوبيثيكوس أفارينيسيس **Australopithecus afarensis**

وطولها نحو ١,١ مترا بوزن ٢٩ كيلوجراما وكانت تمشي منتصبة على قدمين. أسماها الفريق البحثي الذي اكتشفها بهذا الاسم تيمنا بأغنية البيتلز **Lucy in the sky with diamonds** التي كانوا يسمعونها كثيرا في معسكر التنقيب. أجريت مئات الأبحاث على لوسي منذ اكتشافها حتى الآن، حيث تعتبر أهم كشف من نوعه في عالم الأنثروبولوجي. عام ٢٠٠٠ تم اكتشاف هيومانيد أخرى لطفلة من أشباه البشر هي سِلام **Selam** (والتي تسمى أحيانا «طفلة لوسي»)، ويقدَّر عمرها بنحو ٣,٣ مليون سنة. هي أقدم من لوسي بنحو ١٢٠ ألف سنة، إلا أن لوسي تحوز الشهرة الكبرى.

كان إحباطي لاكتشافي أن لوسي ليست سوى مجموعة من العظيمات المتناثرة كبيرا، ففتر حماسي لأن ألتقط صورة مع جدتي الكبرى.

التصوير مسموح به في المتحف بالطبع، وإن كانوا قد نبهوا علينا بعدم استخدام الفلاش ثم لم يراقبونا وتركوا الأمر لضمائرنا. في مصر تم منعي من التصوير في كل المتاحف التي زرتها. لا أدري من العبقري الذي أصدر قرارا بمنع التصوير في كل المتاحف بأنواعها، بل وحتى في المساجد الأثرية والكنائس والمعابد، علما بأنه في اللوفر نفسه -أعظم متاحف العالم- يمكنك تصوير الموناليزا نفسها وبالفلاش أيضا ولن يكلمك أحد ! [٤]

٤ المصدر: كتاب الأولة باريس، شيرين عادل

obeikandl.com

(10)

في محل لبيع التذكارات، حاولت البائعة إقناعي بشراء ميدالية تحمل صورة زيناوي. صورة زيناوي في الحقيقة ليست من الأشياء الجميلة المبهجة التي يمكن للمرء الاحتفاظ بها في جيبه!

سألت البائعة:

Is he a good man or a bad man ?

فكَّرَتْ قليلا ثم قالت: **Good man**.

تذكرتُ البسطاء لدينا الذين كانوا يحبون مبارك ويرون أنه بمثابة أب، ربما لأنهم كانوا لا يعرفون أحدا غيره، وكانوا يظهرون على شاشات التليفزيون أثناء الثورة ليقولوا أشياء من قبيل: يكفي أنه «حَمانا»، وأنه «ما سلِّمْش البلد»، بغض النظر عما تعنيه هذه التعبيرات.

زيناوي في كل مكان (١)

كنت قد لاحظت منذ أتيت هنا الانتشار المهول لصور زيناوي في كل مكان في العاصمة، لافتات لا عدد لها بكل الأحجام تنتشر في كل مكان وبداخل المصالح الحكومية أيضا.

ملس زيناوي (١٩٥٥ - ٢٠١٢) هو رئيس إثيوبيا (١٩٩١-١٩٩٥) ثم رئيس وزرائها (١٩٩٥ - ٢٠١٢). بعد وفاته تولى نائب رئيس الوزراء هايلي مريم الحكم، وسيستمر فيه حتى الموعد الطبيعي لإجراء الانتخابات عام ٢٠١٥ وفقا للدستور الأثيوبي.

زيناوي في كل مكان (٢)

حكم زيناوي إثيوبيا ٢١ عاما بقبضة من حديد بعد استيلائه على السلطة عن طريق انقلاب عسكري. خلال فترة حكمه استطاع أن ينكل بكل أشكال المعارضة ويلقي بها في السجون، فبعد انتخابات ٢٠٠٥ المشكوك في نزاهتها ألقت الشرطة القبض على العديد من زعماء المعارضة، وقتلت قوات الأمن رميا بالرصاص أكثر من ٢٠٠ شخص في المظاهرات التي اندلعت اعتراضا على التزوير، كما اعتقلت أكثر من ٢٠ ألف شخص. في ٢٠٠٩ سنّ زيناوي قانونا لمكافحة الإرهاب اعتقل به المعارضين والصحفيين، ثم في انتخابات ٢٠١٠ التي هيمن عليها حزبه اتهمته المعارضة بتزوير الانتخابات وطالبت بإعادتها، وكان زيناوي قد اكتسح الانتخابات بنسبة ٩٩٪، وقال أنه لم يكن ينوي الترشح لفترة جديدة لكن حزبه أجبره

على ذلك!! (يبدو هذا الكلام مألوفا! تُرى من الذي كان يُسمعنا نفس هذا الكلام في مصر؟!) ومرة أخرى اعتقل المعارضين وحُكم عليهم بالسجن المؤبد بتهمة الخيانة. إضافة إلى هذا فهناك انتهاكات كثيرة لحقوق الإنسان خلال عهده وعمليات اضطهاد وتمييز لبعض الأعراق خاصة طائفة الأورومو، كما زاد في عهده تدهور العلاقات مع مصر.

عام ١٩٩٥ تعرض الرئيس الأسبق حسني مبارك لمحاولة اغتيال فاشلة على يد أعضاء الجماعة الإسلامية في أديس أبابا، لم ينقذه منها سوى السيارة المصفحة التي كان رئيس مخابراته عمر سليمان قد نصحه قبلها بأخذها معه من مصر إلى إثيوبيا. بعد هذه الحادثة أدار مبارك ظهره لأفريقيا لسنين طويلة، مما أدى إلى تدهور وضع علاقات مصر في القارة السمراء. يُذكر أن حسين شميط أحد قيادات الجماعة الإسلامية ومهندس محاولة الاغتيال قد عاد إلى مصر آمنا بعد ثورة ٢٥ يناير!!

تردد وقتها أن أطرافا في السلطات السودانية متورطة في الحادث، ففي يناير ١٩٩٥ رفضت مصر طلب السودان لمناقشة النزاع على مثلث حلايب وشلاتين في قمة أديس أبابا، وفي يونيو من نفس العام وقعت محاولة الاغتيال.

تردد أن وزير الخارجية السوداني ساعد الإرهابيين بنقل الأسلحة من الخرطوم إلى أديس أبابا عبر الحقيبة الدبلوماسية، حيث تسلمها الإرهابيون من السفارة السودانية بأديس أبابا، أما الحكومة السودانية فقد نفت أي علاقة لها بالحادث، لكن منذ ذلك التاريخ وضعت مصر قوات عسكرية في منطقتي حلايب وشلاتين وقامت بطرد الشرطة السودانية والموظفين السودانيين من هناك.

لفترة طويلة ظلت العلاقات المصرية الإثيوبية متوترة، ربما منذ منتصف السبعينات، ففي عام ١٩٧٦ وقع السادات اتفاقية دفاع مشترك مع السودان أغضبت أديس أبابا، وساءت العلاقة أكثر عندما رفض السادات الحوار مع الوفد الأثيوبي الذي زار مصر في ذلك العام، مؤكدا على ضرورة استقلال الشعب الإرتيري عن إثيوبيا أولا [٥]. بعد هذا زاد التوتر بسبب سعي السادات لتوصيل مياه النيل إلى سيناء، وفي عهد مبارك حصلت انفراجة مؤقتة في العلاقات بسبب اتخاذ مصر موقف الصمت أو الحياد إزاء مشكلات إثيوبيا مع جيرانها، إلى أن وقع حادث الاغتيال الفاشل فتدهورت العلاقة مرة أخرى.

ظلت إثيوبيا ترى أن الحصة الكبيرة التي تحصل عليها مصر من مياه النيل لها دور رئيسي في المشكلات والمجاعات التي تتعرض لها إثيوبيا بسبب الجفاف. وفقا لاتفاقية ١٩٢٩ (التي روجعت عام ١٩٥٩) تحصل مصر سنويا على ٥٥,٥ مليار متر مكعب من مياه النيل (كان عدد السكان عام ١٩٥٩ نحو ٢٠ مليون نسمة نصيب الفرد منهم ٣٠٠٠ متر مكعب، أما الآن فقد وصل نصيب الفرد إلى أقل من ٧٠٠ متر)، ويحصل السودان على ١٨,٥ مليار متر مكعب، لكن إثيوبيا غير راضية عن هذه الأمور، فوفقا للاتفاقية لا يمكن إقامة سدود أو مشروعات مائية على النيل في أي دولة دون أن توافق عليها القاهرة أولا.

قادت إثيوبيا حركة التمرد الأفريقية ضد دولتي المصب، وكان لزيناوي دور رئيسي في دفع دول المنبع إلى توقيع اتفاقية عنتيبي

٥ جريدة المصري اليوم ٢٠١١/٩/١٧.

في أوغندا سنة ٢٠١٠ لاقتسام مياه النيل. وهي الاتفاقية التي وقعتها إثيوبيا مع أوغندا وتنزانيا ورواندا، ثم انضمت إليها كينيا وبوروندي، ورفضتها كل من مصر والسودان.

تنتزع الاتفاقية حق النقض (الفيتو) من مصر فيما يتخذ من قرارات بخصوص النيل والسدود والمشروعات التي تقام عليه، إذ يكفي التصويت بالأغلبية على القرارات لتصبح نافذة، الأمر الذي رفضته مصر باعتبار هذا الحق حقا تاريخيا لها، فشنّ زيناوي هجوما حادا على مصر باعتبارها تقع تحت سيطرة الأفكار البالية المتعلقة بالحقوق التاريخية، وأعلن أنه ماض في خطط إنشاء مجموعة كبيرة من السدود أكبرها سد النهضة. هذه السدود عند إكمالها ستقوّض حصة مصر المائية وتضعها في مشكلة حقيقية.

ليست التوترات المصرية الإثيوبية الحالية جديدة من نوعها، بل إن الأمور قد وصلت في أيام الخديوي اسماعيل، كما سنرى في الفصل القادم، إلى الحرب!

obeikandl.com

(11)

لنصل إلى الوضع الذي وصل بالعلاقات المصرية الإثيوبية إلى الحرب المُباشِرة، دعونا نعود إلى الخلف قليلا، إلى عصر محمد علي.

بعد أن فتح محمد علي السودان، صارت هناك حدود مشتركة بين الدولة المصرية وإثيوبيا، ثم انتصر ابنه إبراهيم باشا في حروبه في الحجاز (السعودية حاليا) وقضى على الدولة الوهابية الأولى، فكان أن عيّنه السلطان العثماني على باشويّة جدة عام ١٨٢٠، وكان يتبعها إيالة الحبش، ولهذا سمي إبراهيم باشا بمتصرف جدة والحبشة[٦].

الخديو اسماعيل

مع استيلاء أسطول محمد علي أيضا على موانئ اليمن في

٦ العلاقات المصرية الأثيوبية، د. أنتوني سوريال عبد السيد

obeikandl.com

جنوب البحر الأحمر، كاد البحر الأحمر هكذا أن يتحول إلى بحيرة مصرية خالصة شرقه وغربه.

يعتقد بعض المؤرخين أن محمد علي كان ينوي غزو إثيوبيا وضمها إلى السيادة المصرية، وبهذا يسيطر على وادي النيل كله من منابعه، وربما كان لتحذير القنصل البريطاني العام في مصر أثر في أنه لم يمضِ في الأمر، ثم صار أن انشغل عنه نهائيا بحروب المورة والاضطرابات في الحجاز مما جعله يتخلى عن الفكرة.

الخديو اسماعيل

كان هذا التوسع المصري الشديد يقلق حكام إثيوبيا، خاصة بعد ضمّ أراض كثيرة تدّعي إثيوبيا ملكيتها لها، فكان أن أثار حكام إثيوبيا القلاقل على الحدود الإثيوبية/ السودانية وانتشرت أعمال السلب والنهب بواسطة القبائل الإثيوبية في تلك المناطق من أجل زعزعة النفوذ المصري.

في السنوات التالية أغارت مصر عدة مرات على الأراضي الإثيوبية لجلب الماشية والرقيق، وأضافت مساحات أخرى إلى السيادة المصرية.

مات محمد علي وأتى عباس الأول، واستمرت الغارات المتبادلة بين مصر وإثيوبيا على الحدود السودانية. لم تكن هناك حدود واضحة بين السودان وإثيوبيا في ذلك الوقت، ولم تكن إثيوبيا تعترف بشرعية امتلاك مصر لبعض مناطق الحدود، لذا استمرت القلاقل.

سعيد باشا

تولى سعيد باشا حكم مصر عام ١٨٥٤، وفي ذلك الوقت ظهر حاكم جديد في إثيوبيا استطاع أن يوحدها تحت حكمه، واتخذ اسم تيودور الثاني الذي نصب إمبراطورا عام ١٨٥٥. كان تيودور الثاني يطمح في هزيمة المصريين في السودان وطردهم منه، ثم تحويل مجرى مياه النيل ليتم بذلك خراب مصر وإخضاعها. أخذ تيودور في تقوية مركزه استعدادا للحرب، وأخذ سعيد يعد العدة لغزو إثيوبيا، لكن الباب العالي منعه ونصحه بإرسال بطريرك الأقباط ليحاول الإصلاح بين البلدين نظرا لما للبطريرك المصري من مكانة رفيعة في نفوس الأثيوبيين.

وهكذا ذهب البابا كيرلس الرابع إلى إثيوبيا محملا بهدايا ثمينة من سعيد باشا إلى الإمبراطور الأثيوبي من أجل السلام والتصالح، لكن في نفس الوقت أعدّ سعيد باشا العدة للحرب وسافر إلى

السودان مع قوة مصرية ضخمة ليشرف على الجهود الحربية! ويبدو أن سعيد كان يتحسب لاحتمال فشل البطريرك في مهمته.

تفاوض البابا مع الإمبراطور بشأن وقف الغارات الإثيوبية على السودان، وأحرز البابا نجاحا في المفاوضات، لكن حدثت بعض الوشايات لدى الإمبراطور بأن البابا ليس سوى جاسوس لسعيد، كما أتت أخبار القوة المصرية التي وصلت إلى السودان، فأمر الإمبراطور بسجن البابا وكاد أن يأمر بقتله. من ناحية أخرى كان الإمبراطور تيودور متعصبا جدا وقد استنكر أن يكون البابا مبعوثا للوالي المسلم. أرسل البابا إلى سعيد باشا بأنه كان على وشك النجاح في المفاوضات لولا حضوره مع الجيش وطلب منه إرجاعه، وبالفعل عاد سعيد إلى مصر ووجه رسالة للإمبراطور موضحا نواياه الطيبة نحو إثيوبيا، فأخرج الإمبراطور البابا من السجن. لكن الاضطرابات والقلاقل عادت مرة أخرى.

في بداية عهد الخديوي إسماعيل حاول الخديوي أن يحافظ على السلام مع إثيوبيا، لكن الاضطرابات استمرت على الحدود، وتدهورت العلاقات أكثر.

كان إسماعيل يبغي التوسّع، كما كان له هدف آخر نبيل هو أن يلغي تجارة الرقيق وأن يسجل له التاريخ أن يكون مُبطل الرق في أفريقيا، فبمجرد أن تولى الحكم حتى أمر حكمدار السودان بتعقب تجار الرقيق ومحاربتهم، وبالفعل تم تحرير آلاف العبيد وإعادتهم إلى بلادهم.

استمر إسماعيل في السيطرة على موانيء البحر الأحمر والتوسع في شرق أفريقيا، فشعر الإمبراطور الأثيوبي يوحنا الرابع (ويسمى

أحيانا يوحنس الرابع) بأن المصريين قد حاصروا بلاده من جميع الجهات، فبدأ يستعد للحرب، واحتشدت القوات على الجانبين.

وقعت معركتان كبيرتان في الحرب بين مصر وإثيوبيا. الأولى هي معركة جوندت (١٨٧٥)، وقد وقعت فيها القوات المصرية في كمين أعده الأثيوبيون وهزمت القوات المصرية هزيمة ساحقة، حيث قتل حوالي ٢٧٠٠ من القوات المصرية.

المعركة الثانية هي معركة جورا (١٨٧٦) التي شارك فيها ٥٠٠٠ من القوات المصرية، ومرة أخرى تنهزم القوات المصرية ويتم أسر ٦٠٠ أسير مصري ثم يتم ذبحهم عن بكرة أبيهم.

انسحب من تبقى من القوات المصرية إلى قلعة جورا، وكرّر الأثيوبيون الهجوم على المصريين، لكن المصريين تحصنوا بالقلعة واستماتوا في الدفاع عنها وأنزلوا خسائر فادحة بالقوات الإثيوبية، مما أدى إلى انسحاب الأثيوبيين.

خرجت مصر من هذه الحرب منهكة ومثقلة بالديون، بينما دعم الإمبراطور يوحنا الرابع حكمه في إثيوبيا. تَلا ذلك جولة شاقة من المفاوضات من أجل الصلح، ثم عادت الغازات الإثيوبية على الحدود من جديد.

زاد موقف مصر سوءا بعد أن صارت عاجزة عن دفع الديون التي تورطت فيها أيام إسماعيل، ووقعت مصر ماليا تحت سيطرة صندوق الدين الذي تحكم فيه الأوروبيون الدائنون لمصر، وبالتالي صارت مصر عاجزة عن الحرب.

عُزل إسماعيل عن الحكم بواسطة الدول الأوروبية عام ١٨٧٩،

وتولى الخديوي توفيق الحكم في ظروف صعبة وأوضاع متدهورة، لكن لأن مصر المُفلسة كانت تقع تحت الوصاية الدولية فقد اتحد قنصلا فرنسا وبريطانيا معا مرسلين تهديدات إلى الإمبراطور الأثيوبي يأمرانه بالتخلي عن مطامعه في حدود الحكومة المصرية، محذرين من الاعتداء على أملاك مصر وإلا تعرض للهجوم. كانت الدول الدائنة تخشى على أموالها إن قامت حرب بين مصر وإثيوبيا، فالحرب مكلفة وستقتطع مصاريفها من الأرباح التي تحصِّلها الدول الدائنة من مصر.

بدأت سلاسل أخرى من المفاوضات الفاشلة استغرقت فترة طويلة، ثم عاد الأثيوبيون إلى شن الغارات على الحدود مرة أخرى، وإعمال السلب والنهب، كما بدأوا في إعداد العدة للحرب، لكن ملكة بريطانيا تدخلت طالبة من الأثيوبيين الامتناع عن الهجوم على المناطق التي يحتلها المصريون، وبدأ البريطانيون مفاوضات جديدة للسلام، فتحسنت العلاقات إلى حد كبير. لكن المفاوضات كانت بطيئة رغم الرغبة في عقد سلام دائم، بسبب انشغال مصر بالثورة العرابية (١٨٧٩ - ١٨٨٢)، ثم قامت الثورة المهدية بتهديد الوجود المصري في السودان، وأخيرا وقعت البلاد تحت نير الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢.

استغل الأثيوبيون سوء أوضاع مصر وبدءوا يعدون العدة للحرب مرة أخرى، وعادت الغارات الإثيوبية وأعمال السلب والنهب، ولم يكن لمصر القدرة على الردّ، واستمر الأثيوبيون في الغارات حتى وصلوا إلى موانيء البحر الأحمر، خاصة وقد انتصرت الثورة المهدية في العديد من المعارك وخرجت الأمور عن السيطرة في السودان.

قبلت بريطانيا التوسط بين مصر وإثيوبيا بناء على طلب الإمبراطور يوحنا. كانت الشروط التي فُرضت على مصر مجحفة لحقوقها إلى حد كبير، وكانت بريطانيا تهدف لتثبيت ملك الإمبراطور يوحنا في المنطقة لحفظ المصالح البريطانية، حتى أنها أجبرت مصر على إخلاء السودان من جنودها، وبالتالي لم يعد هناك معنى لاحتفاظ مصر بموانيء البحر الأحمر في هذه المنطقة.

تم توقيع معاهدة عدوة بين مصر وإثيوبيا برعاية بريطانيا، وفيها صار من حق إثيوبيا حرية التجارة واستيراد الأسلحة، وأخلت مصر تحصيناتها في العديد من المناطق لصالح إثيوبيا مُسَلِّمة المباني والأسلحة، كما تعهدت مصر بتقديم المطارنة المصريين الذين تحتاجهم الكنيسة الإثيوبية. يبدو أن مصر لم تكسب شيئا من هذه الاتفاقية المجحفة.

بانسحاب القوات المصرية من السودان لم تعد هناك حدود بين مصر وإثيوبيا، وبالتالي لم تعد هناك علاقات سياسية مع إثيوبيا في الفترة الباقية من حكم يوحنا الرابع، كما أنه انشغل بالمشاكل التي ورثها مع الثورة المهدية في السودان.

على أن قرار بريطانيا بإجبار مصر على التخلي عن السودان اتضح أنه خطأ فادح، فقد صارت مصالح بريطانيا مهددة بسبب الأطماع الفرنسية في المنطقة وتقدمها نحو أعالي النيل، وهكذا انطلقت حملات مصرية إنجليزية من أجل استرداد السودان، ثم أخيرا تم ترسيم الحدود بين السودان الشرقي وإثيوبيا برعاية بريطانية عام ١٩٠٢، وبذلك تنتهي أخيرا المشاكل الحدودية المستعصية بين مصر وإثيوبيا!

obeikandl.com

(12)

تتكون إثيوبيا من أغلبية مسيحية وأقلية مسلمة، إضافة إلى نسبة صغيرة من ممارسي الديانات القديمة.

الشعب الأثيوبي شعب متدين جدا. يلصق البسطاء صور العذراء ومار جرجس بفتارين المحال التجارية وزجاج سيارات الميكروباص. يحبّ الأثيوبيون مار جرجس بصفة خاصة ويضعون صوره في كل مكان، ربما لأنهم يعتقدون أنهم دحروا الغزو الإيطالي عن البلاد بفضل شفاعته، حتى أنهم يضعون صورته على زجاجات البيرة! فأشهر بيرة في إثيوبيا هي بيرة سان جورج!

آبا سلامة

في إثيوبيا يذاع القداس في مكبرات صوت خارج الكنائس، تماما كما يذاع الأذان في مكبرات صوت المساجد

في مصر! من الغريب أيضا أن معظم الأثيوبيين الذين يذهبون إلى الكنائس لا يدخلونها، وإنما يظلون واقفين في الخارج في الحدائق التي تحيط بالكنائس يتبرّكون بالحوائط والأبواب والأسوار دون أن يدخلوا، وذلك لأنهم يشعرون أنهم غير مستحقين لدخول الكنيسة، وفي الداخل لا ترى إلا عددا محدودا جدا من الناس يكاد لا يزيد عن بعض النسوة العجائز.

أبونا باسيليوس البطريرك الأثيوبي الأول

يحكي لنا سفر أعمال الرسل قصة دخول المسيحية إلى إثيوبيا في القرن الأول الميلادي، عندما كان خصي حبشي هو وزير كنداكة ملكة الحبشة قد أتى إلى أورشليم ليسجد فيها، ثم أخذ في طريق عودته يقرأ في نبوءات إشعياء النبي دون أن يفهم، فقابله القديس فيلبس (وهو يختلف عن القديس فيلبس أحد التلاميذ الاثنا عشر) في الطريق وشرح له النبوءات وبشره بالمسيح، فآمن الخصي الحبشي واعتمد وعاد إلى بلاده ليكون هذا الوزير أول مسيحي أثيوبي.

ورغم العلاقات السياسية المتوترة التي سادت بين مصر وإثيوبيا -كما رأينا في الفصل السابق- إلا أن العلاقات الدينية كانت أوثق عُرى، فعلى مدى التاريخ كان يرأس الكنيسة الإثيوبية مطران مصري يعينه بطريرك الإسكندرية. بدأ الأمر نحو عام ٣٣٠ ميلادية

عندما قام البطريرك أثاناسيوس برسم فرومنتيوس السرياني مطرانا لإثيوبيا، وحمل اسم «آبا سلامة» التي تعني أب السلام، وظلت هذه العادة سائدة لأكثر من ١٦٠٠ سنة حتى اتفاقية ١٩٤٨، التي تحولت بفضلها الكنيسة الإثيوبية إلى بطريركية، وصار لإثيوبيا أول بطريرك أثيوبي، وهو الأنبا باسيليوس الذي رُسم في القاهرة عام ١٩٥٩ على يد البابا كيرلس السادس. والأنبا باسيليوس (١٨٩١ – ١٩٧٠)، أو أبونا باسيليوس كما يُسمّى في إثيوبيا، هو أول مطران من أصل أثيوبي على الكنيسة الإثيوبية، قبل أن يصبح أول بطريرك أثيوبي.

بيرة مارجرجس

بعد وفاة أبونا باسيليوس خلفه أبونا ثيوفيلوس، ثم سقط حكم الإمبراطور هيلاسلاسي بانقلاب عسكري سنة ١٩٧٤ وتم فصل الكنيسة الإثيوبية عن الدولة وأخذت الحكومة الماركسية الجديدة في تأميم ممتلكات الكنيسة، وتم اعتقال البابا ثيوفيلوس وإعدامه في السر، وأمرت الحكومة الكنيسة الإثيوبية بانتخاب بطريرك جديد فتُوِّج تكلاهيمانوت بطريركا، لكن الكنيسة المصرية لم تعترف به لأنه لم يكن قد عُرف أن البابا السابق قد أعدم، وانقطعت العلاقات بين الكنيستين بعد ذلك لوقت طويل.

كان للثقافة القبطية دور كبير في المسيحية الإثيوبية، فقد دخل نظام الرهبنة القبطية إلى إثيوبيا على نظام الأنبا باخوميوس المصري قبل نهاية القرن الخامس، وعن طريق الرهبان المتعلمين تم نقل الأدب

الديني من القبطية إلى اللغة الإثيوبية القديمة المعروفة بالجعزية، ورغم أن اللغة الأمهرية حلت محلها حاليا كلغة حديث، إلا أن اللغة الجعزية ظلت هي لغة القدّاس (مثلما ظلت اللغة القبطية

كنيسة القديسة مريم

القديمة مستخدمة في الصلوات الدينية في مصر رغم حلول العربية محلها كلغة الحديث)، ولما حدث الانشقاق الخلقيدوني بين الكنائس الشرقية والغربية، انحازت الكنيسة الإثيوبية إلى الكنيسة المصرية.

في البداية كان المسيحيون الأثيوبيون في حالة صداقة مع المسلمين الأوائل، حتى أنهم استضافوا المهاجرين منهم هربا من اضطهاد القرشيين، لكن بعد فترة انقلبت هذه الصداقة إلى عداوة عندما حاول العرب الاستقرار على سواحل البحر الأحمر الأفريقية. ولمدة ستة قرون من ٦٥٠ إلى ١٢٧٠ ظلت إثيوبيا منغلقة على نفسها دون

علاقات خارجية سوى مع أقباط مصر.

بعدها ظلت الكنائس الغربية ترسل البعثات إلى إثيوبيا في محاولة لاستمالة المسيحيين الأثيوبيين إلى مذهب الكنيسة الغربية عوضا عن المصرية، لكنها لم تحرز نجاحا يذكر، وظل الشعب الأثيوبي ملتزما بالتبعية الدينية للأسقف المصري.

ثم حدث أن استولى على السلطة ملاك سجاد الثالث (حكم من ١٦٠٦ إلى ١٦٣٢)، فأمر بالتحول إلى المذهب الكاثوليكي الغربي عام ١٦٢٢، وتم تنصيب البرتغالي ألفونسو منديز بطريركا لإثيوبيا وعزل المطران المصري، لكن الشعب الأثيوبي غضب من هذا الأمر وقامت ثورة ضد البطريرك الكاثوليكي، وعندما مات الإمبراطور وتولى ابنه بسيليدس العرش عام ١٦٣٢ أعاد البلاد إلى مذهبها

مكبرات صوت لإذاعة القداس

الأرثوذوكسي.

بعدها بسنوات صدر قرار بمنع أي كاثوليكي روماني من دخول البلاد! لكن مع ذلك استمرت محاولات الكنيسة الغربية لنشر مذهبها، ومع مرور السنوات صار للكنيسة الكاثوليكية عدة كنائس في إثيوبيا، كما أتت بعثات من الكنيسة البروتستانتية كان نجاحها محدودا.

ظلت الكنيسة الإثيوبية على مدى قرون مُخلصة لكنيستها المصرية الأم، إلى أن بدأ الأثيوبيون يطمحون في تحويل كنيستهم إلى بطريركية منفصلة عن الكنيسة المصرية، وقد وافق البابا يوساب الثاني على استقلال الكنيسة الإثيوبية في اتفاقية ١٩٤٨، ورفع رتبة الأسقف الأثيوبي باسيليوس إلى مطران لإثيوبيا، ثم اكتمل الأمر بقيام البابا كيرلس السادس بتنصيبه أول بطريرك أثيوبي عام ١٩٥٩ كما أسلفنا، لكن العلاقات تدهورت أكثر بحدوث فتنة دير السلطان.

ففي ٢٥/ ٤/ ١٩٧٠ قامت القوات الإسرائيلية بإخراج الرهبان المصريين من دير السلطان بالقدس بالقوة وتسليمه للأحباش الذين استولوا عليه منذ ذلك الوقت، ورغم صدور أحكام قضائية من المحاكم الإسرائيلية بأحقية الكنيسة المصرية في دير السلطان، إلا أن القوات الإسرائيلية ترفض تنفيذه منذ ذلك الحين.

(13)

بعد أن انتهينا من عملنا في أحد ملاجيء الأطفال على الجبل، كانت فرصة عظيمة لزيارة دير الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي.

يقع الدير أعلى الجبل شمال أديس أبابا، على مسافة تقترب من نحو مائة كيلومتر، تقطعها السيارة في أكثر من ثلاث ساعات بسبب صعوبة صعود السيارة على الطريق الصاعد على الجبل، إضافة إلى وعورة الطريق.

بيرة مارجرجس

أثناء البحث عن طريق الوصول إلى الدير أعلى الجبل رآنا بعض السكان المحليين، فصاروا يشيرون لنا بأيديهم إلى اتجاه ما وهم يصيحون: «بابون! بابون!».

لم أفهم في البداية ما يعنون، ظننتهم يقولون شيئا ما بالأمهرية، لكن بعد قليل من السير رأينا

على الطريق أُسَر من قرود البابون تتحرك هنا وهناك على جانبي الطريق!

بعد منطقة القرود بمسافة غير بعيدة وجدنا الدير الذي أسسه القديس تكلا هيمانوت في القرن الثالث عشر. يعرف الدير أيضا بـ «ديبرا ليبانوس». ديبرا تعني دير باللغة الجعزية القديمة، أما ليبانوس فهو أحد الرهبان الذين عاشوا في المنطقة قبل تكلا هيمانوت في القرن السادس الميلادي.

البابون

كان الدير مغلق الأبواب، والكثير من البسطاء متجمعون خارج الأسوار. في الخارج كانت هناك لافتة بالتعليمات تقول أن النساء غير مسموح لهن بدخول الكنيسة خلال فترة الطمث، وأن الرجال والنساء الذين مارسوا الجماع غير مسموح لهم بالدخول خلال فترة ٤٨ ساعة، وأن على الراغب في الدخول شراء تذكرة بمائة برّ أثيوبي.

الطبيعة الخلابة على الجبل

تبدو هذه تعليمات متشددة جدا، كما أنه ليس من الشائع أبدا أن تكون زيارة الأماكن الدينية بتذاكر، لكن الراهب الذي يجلس في كشك التذاكر أخذ يبرر هذا الأمر بحاجة الدير إلى المال للصرف على فقراء المنطقة.

القديس تكلاهيمانوت الحبشي

للدير أهمية خاصة جدا في البلاد، ويُعتبر رئيس دير تكلا هيمانوت ثاني أكبر رتبة دينية في إثيوبيا بعد البطريرك. يقع الدير بين أحد روافد النيل الأزرق وجرف جبلي.

مع الأسف لم يتبق من المباني القديمة للدير شيء، أما الكنيسة الحالية -التي تظهر في الصورة والمبنية فوق ضريح القديس- فقد بنيت أيام الإمبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٦١. السبب هو أن الدير تعرض للتدمير عدة مرات، حيث تعرض لتدمير شامل على يد أحمد بن إبراهيم الغازي (١٥٠٧ - ١٥٤٣) خلال غزوه لإثيوبيا، حيث قام أحد أتباعه بتدمير الدير وإحراقه عام ١٥٣١. أما أحمد بن إبراهيم الغازي (الذي يعرف أيضا بأحمد جُري أي أحمد الأشول) فهو أحد سلاطين سلطنة عَدل التي كانت تشغل منطقة جيبوتي وأجزاء من الصومال وإثيوبيا وإريتريا في الفترة من ١٤١٥ حتى ١٥٧٧.

تمت إعادة بناء الدير في ١٦٩٩ عقب زيارة الإمبراطور إياسو الأول، ثم في عهد الإمبراطور فاسيليدس تعرضت أراضي الدير للتخريب أثناء غزو الأوروموـ.

الكنيسة التي بناها الإمبراطور هيلاسلاسي

عام ١٩٣٧، أثناء فترة الغزو الإيطالي لإثيوبيا، وعقب محاولة الاغتيال الفاشلة للحاكم رودلفو جرازياني (الذي يعرف أيضا بجزار إثيوبيا وجزار ليبيا)، اعتَقَدَ الحاكم أن رهبان الدير كان لهم علاقة بمحاولة الاغتيال، فأمر القوات الإيطالية بقتلهم، فقامت القوات بارتكاب مذبحة في الدير قتلت فيها ٢٩٧ راهبا و٢٣ خادما.

تكلا هيمانوت هو أشهر وأعظم قديسي إثيوبيا، وهو مشهور أيضا في مصر لأنه زار مصر في إحدى فترات حياته، والتقى برهبان الأديرة المصرية.

راهب يجلس أسفل شجرة

ولد تكلا هيمانوت في القرن الثالث عشر لأب كاهن وأم كانت عاقرا. رغب الوالدان في تزويجه لكنه نذر نفسه ليعيش بتولا، ورُسم شماسا

ثم قسا، وصار يجول في البلاد مبشرا بالإله الحقيقي ومحاربا لعبادة الأصنام بين القبائل الوثنية، وظل القديس يتنقل لسنين طويلة في المدن والقرى واتشر صيته في كل مكان.

طبيعة خلابة على الجبل

تحكي سيرة القديس أنه ظل متعبدا لمدة ١٢ سنة في دير يدعى دير أدوجاي، وكان الدير مرتفعا على جبل، وكان الرهبان يربطون من يريد النزول من الجبل بحبل لأنه كان شديد الانحدار، وفي إحدى المرات أثناء نزول القديس انقطع الحبل وسقط من الجبل، فبرزت له ستة أجنحة حمله إلى الأرض بسلام، ولهذا يرسم القديس بستة أجنحة كما نرى في الصورة.

استقر القديس أخيرا في أرض الشواريني وبنى هذا الدير وصار له تلاميذ كثيرين من الرهبان، وظل ٢٩ عاما في مغارة زاهدا ناسكا يمارس الصلاة والتعبد والتأمل، وكان يقف على ساق واحدة أثناء الصلاة حتى يظل ذهنه منتبها ولا يغفل عندما تطول الصلوات. وظل يقف على ساقه اليمنى لفترات طويلة جدا حتى يبست ساقه وانكسرت، فأخذها تلاميذه ولفوها في لفافة، أما هو فصار يقف ليصلي على ساقه الأخرى، ولم يكن يخرج من مغارته ليرى النور في سنينه الأخيرة، مداوما على الصوم والنسك حتى صار جسده كالخشبة المحروقة، ثم مات أخيرا بداء الطاعون وكان عمره

٩٩ سنة وثمانية أشهر، وبكته كل مدن وقرى إثيوبيا.

تقع المغارة أعلى الجبل لكن طريق الصعود إليها شديد الوعورة ويستغرق وقتا طويلا، وهناك نبع ماء بالأعلى يتساقط ماؤه على جدران المغارة ثم ينحدر على الجبل. هذا الماء يعتبر مقدسا لدى الأثيوبيين.

مع الأسف كان الوقت قد قارب على الغروب ولم تكن هناك فرصة للصعود إلى الجبل وزيارة المغارة.

استغرقنا ثلاث ساعات صعبة أخرى في طريق العودة، شعرت بعدها أنني بحاجة إلى النوم لثلاثة أيام!

obeikandl.com

(14)

لا أتذكر أنني رأيت شخصا سمينا في أديس أبابا، أو حتى شخصا له كِرش مثل الكروش العظيمة التي نراها في مصر ويتمتع بها معظم أفراد الشعب المصري.

ربما باستثناء بعض النسوة كبيرات السن، يكاد لا يوجد رجل أو امرأة يعاني من البدانة. شعب يتمتع بلياقة بدنية كبيرة ورشاقة غير عادية.

هل السبب هو قلة انتشار السيارات واضطرارهم إلى المشي لمسافات طويلة؟ هل هي الأعمال اليدوية التي تحتاج إلى عضلات؟ أم لعل الأمر له علاقة بنوعية الطعام وعدم وصول سلاسل المطاعم العالمية إلى البلاد؟ تلك المطاعم التي تقدم وجبات مضرة عالية الدهون والأملاح والسكريات، والتي يسميها الشعب الأمريكي **junk food**.

الفتيات الإثيوبيات أيضا يتمتعن بدرجة عالية من الجمال، وببشرة فاتحة إلى حد

كبير مقارنة بالجيران الأفارقة. يحببن ارتداء البنطلونات الاستريتش والجونلات القصيرة والأحذية ذات الكعوب العالية، ولديهن اهتمام عظيم بتصفيف شعورهن لدى مصفف الشعر على أحدث الموضات، وينفقن الكثير من الوقت والمال على هذا الأمر، حتى أن الكثير من حوانيت تصفيف الشعر في أديس تفتح أبوابها ٢٤ ساعة يوميا!

ورغم ارتداءالفتيات للجونلات القصيرةو«الباديهات»و «الاستريتشرات»،إلا أن حوادث التحرش في الشوارع تكاد تساوي صفرا، فلا يكاد أحد ينظر إلى أية فتاة تسير في الشارع، وليس كما يحدث عندنا عندما تُجري عشرات الأعين فحصا بالأشعة السينية لأية فتاة عابرة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها، مهما كانت هذه الفتاة محتشمة.

كنا نقول أن الشعب الأثيوبي يتمتع بقدر كبير من الرشاقة، لهذا تجد أن المقاسات المنتشرة هنا في محلات الملابس هي المقاسات النحيفة، ومن الصعب أن تجد المقاسات الأكبر لأنها غير مطلوبة.

وعلى ذكر الملابس، في إثيوبيا لديهم طريقة لاختبار مقاس البنطلون الجديد دون ارتدائه، حيث يتم لفّ وسط البنطلون على

الرقبة، فإذا انطبق طرفا وسط البنطلون كان قياسه صحيحا! بمجرد أن عرفت هذه الطريقة حتى أخذت أجربها مع بنطلوناتي ولدهشتي وجدتها صحيحة!

تذكرت طريقة قديمة كانت تستخدم في الصعيد لاختبار مقاس الجوارب، حيث يتم لف الجورب حول قبضة اليد المضمومة، فإذا انطبق طرف الجورب مع كعبه كان القياس صحيحا!

الأزياء الحديثة جنبا إلى جنب مع الأزياء التقليدية

توجد لدى الشعوب خبرات عديدة غير مألوفة، قد تبدو هذه الخبرات غير ذات أساس علمي، لكن لا شك أن لها أساسا لا نعرفه.

من المناظر الشائعة في الشوارع الإثيوبية الأمهات المرضعات، ولديهم طريقة غريبة في رضاعة الأطفال: في بلادنا تُميل الأم الطفل على ذراعيها ثم تلقمه ثديها ليرضع وهو راقد على ظهره، أما في إثيوبيا فيرضع الطفل في وضع قائم! حيث تحمل الأم الطفل على ذراعها بشكل عادي في وضع معتدل، ثم تخرج ثديها، ويقوم الطفل بإمساك الثدي ورفعه إلى فمه!

معظم الشوارع في إثيوبيا بلا أسماء، وإن كانت لها أسماء فهي نادرا ما تستخدم. مثل المناطق الشعبية في مصر يمكنك أن تصل إلى الأماكن بمعرفة اسم المنطقة ثم اسم مَعلَم مشهور بالقرب من المكان، مثل خلف فندق كذا، أو أمام جزار كذا.. إلخ.

هـذا يجعـل اسـتخدام الخرائـط أمـرا غـير مجـدٍ، كـما أن التنقـل باسـتخدام الأوتوبيـس صعـب لأنـك لا تعـرف سـوى اسـم المـكان أو المنطقـة التـي تـود الذهـاب إليهـا بدون اسـم شـارع محـدد. يمكنـك -كما يحـدث في مـصر عـادة -أن تقـف في أي مـكان في الشـارع وتشـير بيـدك للأوتوبيـس أو الميكروبـاص وسـيقف لـك، وأثنـاء الطريـق يظـل «التبـاع» ينـادي باسـم المنطقـة المتوجـه إليهـا.

محل ملابس

في أديـس أبابـا، وعـلى العكـس مـن كثـير مـن المـدن في العـالم، ليـس مـن الـضروري أن تحمـل معـك جـواز السـفر وأنـت سـائر. لا يسـأل رجـال البوليـس الأجانـب أبـدا عـن جـوازات سـفرهم أو أوراقهـم. سـتحتاج جـواز السـفر فقـط في المطـار أثنـاء الذهـاب والإيـاب، ثـم للتسـجيل في الفنـدق، لكـن بعـد ذلـك اتـرك الجـواز في حالـه ولا تضايـق نفسـك بحملـه. هـذا فعـلا مـن الأشـياء المريحـة في إثيوبيـا، إضافـة إلى حالـة الأمـان الكبـيرة في الشـوارع.

لكـن مـن الأشـياء المزعجـة فعـلا ضعـف خدمـات الإنترنـت. اسـتخدام الإنترنـت عـلى الموبايـل مـن الأشـياء المكلفـة بشـكل كبـير، كـما أن الخدمـة غـير مسـتقرة وكثـيرا مـا تنقطـع -هـي والكهربـاء أيضـا! -والسرعـة بطيئـة جـدا. هنـاك بضعـة أماكـن توفـر اتصـالا سريعـا للإنترنـت، لكـن جملـة «اتصـال سريـع بالإنترنـت» هـذه تعنـى ١٢٨ كيلوبـت في الثانيـة[٧]!

٧ فيما بعد تغيرت هذه الأوضاع وأطلقت إثيوبيا خدمات الجيل الرابع في العاصمة في ٢٠١٥، أي أنها سبقت مصر في هذا الأمر!

(15)

في طريقي للعودة راكبا الميكروباص، وهو يؤرجحني ذات اليمين وذات اليسار في شوارع أديس أبابا الصاعدة والهابطة، لمحت تلك الكنيسة الرائعة من النافذة، وقررت أنني يجب أن أنزل فورا لزيارتها!

مبنى عجيب على شكل مُثمَّن يقبع وسط حديقة شاسعة. هذه هي كنيسة سان جورج، وهذه الكنيسة لها قصة.

تمثال أبونا بيتروس

بعد أن استولت بريطانيا على قناة السويس باحتلالها لمصر، حاولت إيطاليا التحكم بمدخل البحر الأحمر، وهكذا حاولت غزو إثيوبيا عام ١٨٩٦.

في ذلك الوقت في نهايات القرن التاسع عشر، كانت كل بلاد أفريقيا تحت احتلال الدول الأوروبية، عدا ليبيريا وإثيوبيا. تقع

جمهورية ليبيريا على الساحل الغربي للقارة السمراء، بينما تقع الإمبراطورية الإثيوبية في موقع استراتيجي عند

كنيسة سان جورج

القرن الأفريقي. كانت إيطاليا قد استولت قبلا على الأراضي الإيريترية والصومالية، وأرادت تحسين وضعها في القارة بالاستيلاء على إثيوبيا أيضا، وكانت الذريعة هنا هي إلغاء الإمبراطور منيليك الثاني لمعاهدة أوتشيالي التي كانت قد عقدت بين إيطاليا وإثيوبيا عام ١٨٨٩، واستعملتها إيطاليا استعمالا سيئا وزعمت أنها تسمح لها بإدارة جميع شئون إثيوبيا الخارجية مع الدول الأخرى.

استطاع الإمبراطور مينيليك توحيد الفصائل الإثيوبية للحرب ضد اعتداء العدو الإيطالي، وكانت المعركة الفاصلة هي معركة عدوة عام ١٨٩٦، التي اكتسحت فيها القوات الإثيوبية الجيش الإيطالي وأنزلت به هزيمة ساحقة، حيث قتل ٦٠٠٠ جندي

إيطالي وأسر ٤٠٠٠، كما استولى الأثيوبيون على المدافع والمسدسات والأسلحة التي أحضرها الإيطاليون.

كان لمعركة عدوة أهمية كبرى، فهي أول هزيمة عسكرية مؤثرة لقوة استعمارية أوروبية على يد قوة غير أوروبية منذ بدأ عصر الاستعمار، مما ألهب الشعور الوطني لدى الشعوب المحتلة أراضيها، وقضت على أسطورة الأوروبي الذي لا يقهر.

لوحة تصور الأثيوبيين وهم ينتصرون على الإيطاليين بمعونة القديس مار جرجس

يعتقد الأثيوبيون أنهم انتصروا على الإيطاليين بمعونة القديس مار جرجس (سان جورج)، لذا فقد بنوا هذه الكنيسة عام ١٨٩٦ على اسمه اعترافا بفضله.

بُنيت هذه الكنيسة الفريدة بشكل ثماني الأضلاع، وقد صُمِّمَت بواسطة سباستيانو كاستانيا، وتم استخدام السجناء الإيطاليين في عمليات الإنشاء.

عام ١٩٣٧ تم إضرام النار في الكنيسة بواسطة الحكومة الإيطالية الفاشية في أيام الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا، ثم تم إصلاحها عام ١٩٤١. هذه الكنيسة تتمتع بأهمية كبيرة في البلاد وقد توج فيها بعض الأباطرة الأثيوبيين، ومنهم الإمبراطور هيلاسلاسي.

كانت الكنيسة مغلقة الأبواب كمعظم الكنائس في إثيوبيا، لذا لم أتمكن من دخولها، فدخلت إلى الحديقة المحيطة بها وأخذت أصورها من عدة زوايا، إلى أن انتبه لي الحارس أخيرا فطالبني بدفع ٥٠ برّا، ويتم هذا في كشك يقع في الطرف الآخر من الحديقة كعادة الأثيوبيين في وضع أكشاك التذاكر في أماكن بعيدة عن أماكن الدخول!

للكنيسة برج ملحق بها يحمل جرسا هائل الحجم هو إهداء من الإمبراطور الروسي قبل اندلاع الثورة البلشفية في روسيا، ويوجد داخل مبنى البرج متحف صغير. كنت قد حضرت بعد مواعيد الإغلاق، لكن مسئول المتحف كان كريما عندما فتح لي المتحف خصيصا، بعد أن عرف أنني من مصر الشقيقة[٨].

مبدئيا ولكي يثير حماسي، قال لي المرشد: كما أن لديكم في مصر الهرم الأكبر، نحن لدينا كنيسة سان جورج!

هل تقارن -أيها المرشد- كنيسة سان جورج بالهرم الأكبر؟!! الكنيسة رائعة بالطبع لكن لا يمكن أن تقارنها بالهرم الأكبر مرة واحدة!

هناك ملاحظة عامة وشائعة في البلد، هي أن الأثيوبيين يميلون كثيرا إلى المبالغة في تقدير حجم الأشياء لديهم. ربما نتيجة إلى شعور قومي متنامٍ واعتزاز شديد بالبلد وتاريخها. مثلا لديهم سوق شعبي مفتوحٍ يسمى ميركاتو **Merkato**، وهي كلمة إيطالية تعني السوق، يقولون أن هذا أكبر سوق مفتوح في أفريقيا. لم يتسن

٨ لم تكن العلاقات وقتها قد وصلت إلى هذا الحد من التوتر، كما لم تكن فضيحة اجتماع محمد مرسي الرئاسي المضحك الذي نوقشت فيه المشكلة الأثيوبية على الهواء دون علم الحاضرين قد حدثت بعد!

لي زيارته لكن من ذهبوا إليه منا قالوا أنه ليس أكبر كثيرا من الأسواق الشعبية في مصر.

يطلقون على كل شيء لديهم أنه الأكبر في العالم أو الأكبر في أفريقيا، لكن يجب أن نأخذ هذه التقديرات المبالغ فيها بشيء من الحذر أو كما يقول الغربيون: **with a pinch of salt**.

يحتوي المتحف على بعض مقتنيات الأباطرة هيلاسلاسي وزاوديتو ومنيليك الثاني، ومجموعة من الصلبان الإثيوبية ذات الأشكال المميزة، ثم مخطوطات أثرية، ومجموعة صور، ومقتنيات مهداة إلى المتحف من مختلف الملوك والأباطرة.

في مدخل المتحف بالخارج يوجد تمثال كبير لأبونا بطرس أسقف ويلو، الذي استشهد على يد الإيطاليين عام ١٩٣٧، عندما رفض التخلي عن ولائه للإمبراطور هيلاسلاسي.

بعد أن انتهت الجولة في المتحف، وجدت المرشد يتململ ويتلكأ، وشعرت أنه ربما كان ينتظر بقشيشا، لكني فكرت أنه قد يكون من غير المناسب أن أعطيه مالا، فالرجل مثقف ويبدو محترما فخفت أن تعتبر هذه إهانة، من ناحية أخرى فالمرشد السياحي لدينا لا يتقاضى بقشيشا من الزبائن.

فيما بعد عندما قرأت في مواقع السفر على الإنترنت عن الكنيسة والمتحف، وجدت أن بعض الناس قد كتبوا يشتكون من أن مرشد هذا المتحف ينتظر أن يأخذ بقشيشا من الزوار، وعندها تأكدت من أن الدفء الذي شعرت به في ظهري وأنا أغادر كان بالفعل ناتجا عن نظراته النارية!

obeikandl.com

(16)

كل ما له بداية له نهاية، كما يقول Tagline الجزء الثالث من فيلم الماتريكس!

أديس أبابا من المدن التي يمكن أن تحبها من اليوم الأول فيها. تستطيع أن تعتاد عليها بسهولة وأن يفارقك شعور الاستغراب سريعا. ربما لا يتصوّر المرء كيف يمضي الوقت بسرعة هكذا، لكن -حقا- قد حان وقت العودة!

بعد الأيام التي قضيناها معا - نحن أعضاء الفريق الطبي- صار هناك نوع من الألفة والعلاقات الإنسانية فيما بيننا. بعض العلاقات الإنسانية تطورت إلى صداقات حقيقية، وبعض العلاقات -الإنسانية أيضا -تطورت إلى مشاحنات عدائية!

obeikandl.com

لكن في اليوم الأخير لا يتبقى سوى الشغف الحزين الذي يخلفه الوداع.

تجمعنا جميعا -نحن والحقائب - في لوبي الفندق في الليلة الأخيرة. كنا من دول مختلفة وكانت مواعيد السفر مختلفة وموزعة على ساعات الليل. وكلما حان وقت المغادرة لأحدنا ودعناه إلى سيارة الأجرة بالمشاعر الإيجابية والأحضان والقبلات، دون أن يتطوّر الأمر -لحسن الحظ- إلى جحيم من القبل!

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها لوبي الفندق في هذا الوقت المتأخر من الليل. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحا وبدأت تتكشف لي أمور لا تحدث إلا ليلا ولا يمكن للمرء أن يراها بالنهار، ومنها تلك الفتاة المزعجة التي جلست على الطاولة القريبة من البار.

كانت - على فترات متقاربة- تضع الأكواب بعنف على الطاولة لتحدث صوتا عاليا يلفت الانتباه، ثم تضحك مع نفسها ضحكات عالية وهي توزع النظرات في كل مكان. في البداية ظننت أنها سكرانة، ثم أدركت بعد فترة أنها عاهرة تبحث عن زبون ليلي.

بعد قليل جلس معها ثلاثة سودانيين من رواد الفندق لفترة

ليتحدثوا، ويبدو أنهم لم يتفقوا فتركوها وخرجوا بعد دقائق.

بعد أن طال الوقت دون أن تصطاد زبونا بدأت تتحدث بصوت عال بلغات مختلفة، أمهرية وإنجليزية وعربية محاولة لفت الأنظار. «هاي»، «هالو»، «أنا كلّم عربي كويّس».

تفتح فمها في إغراء. تشد رقبة البلوزة قليلا إلى أسفل. تعدل وضع ثدييها. تقوم وتذهب إلى الباب كأنها ستنصرف. تفتحه نصف فتحة ثم تفلته كأنه ثقيل عليها وليس لديها قوة لجذبه مع إصدار صيحة دهشة. تنتظر أن يأتي شهم يفتح لها الباب لكن لا أحد يفعل. حركات سخيفة ومفضوحة. مضت راحلة أخيرا بعد أن يئست.

بعد قليل عاد اثنان من الأصدقاء السودانيين وكل واحد منهما معه فتاة التقطها من الشارع. فتيات جميلات بكعوب عالية وجونلات قصيرة جدا. أخذ أحدهما فتاته وصعد بها إلى الغرفة بينما جلس الآخر مع فتاته في اللوبي يتحدثان كعاشقين بانتظار دورهما.

فيما بعد عرفت أن أثرياء السودان يأتون عادة إلى هنا لممارسة الدعارة.

تبدو الدولة الإثيوبية متساهلة كثيرا في مسألة البغاء. البغاء غير محرَّم قانونا، لكن بيوت البغاء ممنوعة قانونا مع ذلك، بمعنى أنه يمكن التقاط العاهرات من الشوارع لكن غير مسموح بوجود بيوت أو محال مخصصة لتقديم هذه الخدمة.

تبدو عاهرات إثيوبيا في أحوال ممتازة! لا تتعرضن في العادة

لمضايقات في الشوارع أو الفنادق ولا توجد لديهن مخاطر هذه المهنة المعتادة من اعتداءات متكررة من الزبائن والقوادين، أو مطاردات مستمرة من الشرطة ورجال المباحث.

وبسبب تساهل الدولة والمجتمع مع الدعارة، وبالإضافة إلى ما تتمتع به الفتيات الإثيوبيات من رشاقة وجمال، صارت إثيوبيا دولة جاذبة للسياحة الجنسية في العالم، وعلى الأخص من السودان. البعض يسميها تايلاند أفريقيا، لا ينافسها في هذه السمعة سوى جارتها القريبة إريتريا. لكن انتشار الدعارة بهذا الشكل الكبير هو أحد أهم أسباب الانتشار الهائل للإيدز في البلاد.

تقدِّر بعض الإحصائيّات عدد الفتيات اللواتي يمتهنّ أقدم مهنة في التاريخ ويخرجن ليلا في شوارع أديس أبابا بمائة وخمسين ألف فتاة. لا يمكننا أن نكون قساة جدا عندما نسمع هذا الرقم الكبير، فالفقر المدقع هو السبب الأول، وأحيانا الأخير.

(17)

كانت طائرتي ستقلع إلى القاهرة في الرابعة والنصف صباحا، معنى هذا أنني يجب أن أكون متواجدا في المطار في الثانية والنصف، معنى هذا أيضا أنني لن أنام هذه الليلة!

كان مطار بولي الدولي شبه خال في هذا الوقت المتأخر، ويخيّم عليه هدوء رتيب كأنه بلدة مهجورة، وكما هو متّبع خلعت الحزام والحذاء وكل ما هو معدني لأمر من البوابة، ثم خلعت الحزام والحذاء مرة أخرى لأمر من البوابة الثانية. لحسن الحظ لم تكن هناك بوابة ثالثة!

لم تستغرق الإجراءات زمنا طويلا، فجلست أقتل الوقت أقرأ «الفيل الأزرق» التي كنت قد أحضرتها معي من القاهرة، والتي

obeikandl.com

جعلتني لا أشعر بالوقت حقا حتى حان موعد الصعود إلى الطائرة.

وفي الطائرة كنت في غاية الإرهاق، كان رأسي يترنح كالسكران من قلة النوم، وكلما حاولت التقاط بضع دقائق من السبات أيقظني صوت مضيفتيّ مصر للطيران اللتين كانتا تثرثران معا طوال الوقت بصوت عال خلف مقعدي، فحظي أن مقعدي كان أقرب ما يكون إلى كابينة الخدمة.

لم يتوقف السلوك السيء لمضيفات مصر للطيران عند هذا الحد، ولكنه امتد إلى المعاملة السيئة للأجانب وسبّهم بالعربية التي لا يعرفونها، ففي المقعد المقابل لمقعدي بعد الممر، كانت تجلس سيدة إثيوبية بسيطة لا تعرف العربية ولا الإنجليزية، ولا تعرف متى أو كيف تربط حزام المقعد. ظلت المضيفة تصيح في وجه هذه السيدة البسيطة الصامتة كلما وجدتها لا تفك أو تربط حزام المقعد كلما طُلب ذلك من الركاب، ثم صارت تقوم لها بهذه العملية بعصبية مع إسماعها ما تيسر من السباب بالعربية. عرفت الآن لماذا تنزلق هذه الشركة العريقة من انحدار إلى انحدار بلا توقف.

وصلت في السابعة صباحا دائخا محمرّ العينين وختمت جواز سفري بختم الدخول وأنا أسير في المطار كالزومبي، ثم عرجت على الأسواق الحرة ممنيا نفسي بشراء شيكولاتات مستوردة أسال منظرها لعابي، لكن أسعارها الملتهبة التي فوجئت بها أعادتني إلى رشدي وأضاعت سكرات عدم النوم فخرجت دون أن أشتري!

وأنا خارج من باب صالة الوصول في المطار إلى الصالة الأخرى التي تسبق باب الخروج، مررت مع فوج من الأجانب الذين عبروا من الباب دون أن يكلمهم أحد، لكن الموظف الذي يقف

على الباب التقطني من وسطهم واستوقفني، وأخذ يسألني من أين وصلت وماذا أحضرت معي وماذا يوجد في هذه الحقائب.

في إثيوبيا أنا أجنبي أبيض لا يفتشني أحد، وينحني لي عامل الفندق في احترام، وفي مصر أنا مواطن عادي عرضة للارتياب والشك يستوقفني المخبر على الباب.

لم يشفع لي أنني مررت وسط فوج من الأجانب، وتذكرت حكاية المصري الذي كان قادما عام ١٩٠٧ من أوروبا إلى الأستانة في طريقه إلى مصر، وكان يلبس القبعة لأنه لم يكن يريد أن يلفت الأنظار إذا لبس الطربوش في شوارع باريس، فاحتفظ بالطربوش في حقيبته إلى أن يصل إلى بلده، فلما بلغ الأستانة التركية وصرّح بأنه مصري زمجر في وجهه البوليس التركي، إذ كيف يكون مصريا ويلبس قبعة؟ لابد أنه جاسوس. فقبضوا عليه وألقوا به في السجن![٩]

وداعا أديس

أيهما أفضل: أن تكون مواطنا أصيلا في دولة نامية لا تحترم مواطنيها؟ أم أن تكون أجنبيا في مكان يحترم الأجانب لكنك تلفت الأنظار بشكلك المختلف في كل مكان؟

مسألة اختلاف الإنسان عمن حوله من الأمور المثيرة للتأمل

٩ كتاب تربية سلامة موسى

والمفارقة، والتي عالجها الكثير من الكتّاب من قبل.

يقول الكاتب رءوف مسعد في أحد كتبه أنه نُبذ في أوروبا لأنه ليس أبيض بما فيه الكفاية، ونُبذ في السودان لأنه ليس أسمر بما فيه الكفاية، وفي مصر نبذ لأنه مسيحي وليس مسلما، وبين المسيحيين نبذ لأنه بروتستانتي وليس أرثوذوكسيا.

خرجت من المطار بعد أن نفضت لزوجة سائقي التاكسي الذين تجمعوا حولي في الصالة، وطالعتني وجوه المصريين المتباينة مختلفة الألوان والأشكال، وشعرت أن كل ما مررت به في الأيام الماضية لم يكن أكثر من حلم بعيد.

obeikandl.com

كتب أخرى للمؤلف:

- برسيم دوت كوم

قصص ساخرة عن عالم الكمبيوتر والإنترنت (2003)

- عالم كلينيكس

مقالات ساخرة -الطبعة الأولى - دار ليلى (2007)

الطبعة الثانية -دار اكتب (2013)

- ما هي الماتريكس؟

كتاب سينمائي - دار ليلى (2007)

الجانب المظلم من القمر

قصص قصيرة -الهيئة العامة لقصور الثقافة (2008)

- هاستا مانانا

مقالات ساخرة -دار ليلى (2010)

- 30 طريقة للموت

تاريخ وسائل الإعدام في العالم -دار اكتب - الطبعة الأولى (2010)

الطبعة الثانية (2013)

- أنا وأنا

كوميكس للكبار (بالاشتراك مع رانية أمين) - الطبعة

oheikanali.com

الأولى: دار كوميكس (2012)
الطبعة الثانية: دار كتابي (2016)

- وحوش من الماضي

دار اكتب (2012)

- الكتاب البنفسجي

كتاب ساخر -الطبعة الأولى (2012)
الطبعة الثانية (2013)

- الخروج من الأرض

رحلة فلكية لاستكشاف موقعنا من الكون -دار سما (2013)

- أرض الخيال

موسوعة الشخصيات الخيالية -دار سما (2013)

- برج الموتى

قصص قصيرة -دار سبارك (2015)
خطأ 404
قصص قصيرة -دار سبارك (2015)

- هل يحلم المصريون بأرغفة إلكترونية؟

مقالات -دار كتابي للنشر (2016)

obeikandl.com

كتب جماعية:

مولوتوف 2 -عش ولا تقل للموت لا مرتين غدا
دار ليلى للنشر -(2006)
مولوتوف 3 -قارة زينهم المفقودة
دار ليلى للنشر -(2006)

- بيت في نهاية شارع -مجموعة قصصية مشتركة
دار ليلى للنشر -(2007)
- خارج السيطرة -كوميكس للكبار
دار العين -(2011)

للتواصل مع الكاتب
michelhn@gmail.com

obeikandi.com

obeikandl.com